الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف. المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 1535112422

رقم التسجيل: ط2: 1535110763

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

القلق الوجودي في رواية تلامس للكاتبة لنا عبد الرحمن

إعداد الطالبتين:

- آمنة رباح
- حسيبة لعويجي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
الربيع بوجلال	محاضر –أ–	جامعة المسيلة	رئيسا
عبد الرحيم بحري	مساعد –أ–	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
خالد شبلي	محاضر –ب–	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية :1440– 1441 هـ / 2019 – 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

بسم الله وكفى والصَّلاة والسَّلام على الحبيب المصطفى وآله وصحبه ومن بسنَّته اقتفى.

أهدي هذا العمل لمن قال فيهم عزَّ وجَّل ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَينِ إِحْسَانَا﴾

سورة الإسراء، الآية 23.

فكل الكلمات لا تفي بما قدَّمتماه لي يا نبع الحنان "أمّي"، ومهجة قلبي "أبي" حفظهما الله.

إلى من شملوني بالعطف، وأمدُّوني بالعون، وحفَّزوني للتَّقدم "إخــوتي"، خاصة صاحبتا الأنامل الذهبية، اللتان سهرتا على كتابة هذا العمل الأختين "حنان وسامية " رعاهم الله.

آمـــــنة

شــكر وعــرفان

الحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الوهن، وأكرمنا بنور الفهم، وفتح علينا بمعرفة العلم، وحسن أخلاقنا بالحِلم. نحمده سبحانه وتعالى على أن مكننا من إتمام هذا العمل، سائلين الله النفع العميم، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم.

وعلى هذا النحو نتقدم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف "عبد الرحيم بحري " على ما بذله من جهد في النصح والتوجيه، ومتابعة هذا العمل من بدايته إلى نهايته، سدّد الله خطاه في بذل المزيد من العطاء.

كما نتوجه بخالص الشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، لقبولهم مناقشة هذا العمل، وتسخيرهم وفقا لقراءته وتقييمه.

ولا يفوتنا أن نشكر كل من نهلنا من علمهم وتعلمنا منهم كل حرف، ومهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

إلى كل من ساعدنا على إتمام هذا العمل، وقدم لنا يد العون، ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل "عبد المالك مكفس" أستاذ بكلية علم النفس.

إلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي كلٌ بإسمه.

مقـــدمـة

ترتبط كل العلوم ببعضها ارتباطًا وثيقًا مبني على علاقة تكاملية، ونخصُّ بالذكر علاقة الأدب بعلم النفس وعلوم الفلسفة، والتي يركّز فيها كلاهما على السلوك البشري، إذ يلتقيان في عدة نقاط، فالأدب يوظف اللغة ليعبّر بها عن تفكير الإنسان ومكنوناته، حيث يتيح لنا الأديب أن نرى من خلال آثاره ما حجبته عنا ظروف الحياة من نفوس البشر الذين نعيش بينهم ونتعامل معهم، فيُميط اللثّام عن ما تخفيه نفوسهم. ويسعى علماء النفس لتحليل وتفسير الحالات النفسية للأفراد، لأن الحياة النفسية تؤثر فيها الحياة الاجتماعية والعكس صحيح، فعلم النفس هو العلم الذي يجرى من خلاله النظر في داخل الإنسان والبحث عن أسباب ودوافع وجوده، ولا شك أن جلّ الروايات الأدبية ذات أفكار فلسفية. وهذا ما جعلنا نخوض غمار البحث حول موضوع القلق الوجودي في رواية "**تلامس**" للروائية **لنا عبد الرحمن**.

ويعد موضوع القلق الوجودي من أهم الموضوعات التي تفرض نفسها دائما على اجتهادات الفلاسفة والباحثين في العلوم النفسية، لما له من أهمية وعمق وارتباط بأغلب المشكلات النفسية، حيث يعتبر هذا الأخير شعور طبيعي وفطري يعبّر عن صراع داخلي لدى الإنسان نتيجة الإنقسام الذاتي بين قبول الواقع أو رفضه.

وبناءًا على ما تمليه علينا طبيعة الموضوع، التي تشمل ثلاث علوم متكاملة ومتداخلة ببعضها البعض تمثلت في علم الأدب وعلم النفس وعلوم الفلسفة. يمكننا طرح الإشكالية التالية:

كيف تجلى القلق الوجودي عند الشخصية في الرواية؟ ما مسبباته؟ ثم ما تأثيراته؟

وقد استندنا في مقاربتنا الموضوع الموسوم أعلاه على بعض الأدوات الإجرائية للتحليل النفسي مع إنفتاحنا على مقولات الفلسفة الوجودية.

وفيما يتعلق بأسباب اختيار الموضوع، فقد تراوحت بين أسباب موضوعيّة وأخرى ذاتيّة تلخصت فيما يلي:

أ- الأسباب الموضوعيّة:

- إنتشار ظاهرة القلق إذ يُعدُّ مرض العصر، ما لاحظنا تأثيراته المباشرة على سلوكات الفرد والمجتمع.
- إدراك أهمية ربط الأدب بالعلوم الأخرى ولفت انتباه الدارسين لمعالجة مثل هذه الدراسات.

ب-الأسباب الذاتيّة:

- سعيُنا لتقديم إضافة جديدة في مجال البحث العلمي، والخروج عن المألوف.
- رغبتُنا الشخصية في البحث عن رواية تعالج قضايا أو مواضيع أدبية لها علاقة بعلم النفس والفلسفة وذلك لإعطاء الصورة الحقيقية للظاهرة المدروسة.

أما فيما يخص أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة فتمثلت فيما ما يلي:

أ- المصادر:

- رواية تلامس: الكاتبة لنا عبد الرحمن.

ب-المراجع:

- لسان العرب: ابن منظور.
- كيف تتغلب على القلق وتنعم بالحياة: الأزرق بن علو.
- الوجودية مذهب إنساني: جان بول سارتر.
- القلق ونوبات الذعر: كوام مكنزي.

وللإجابة على الإشكاليات المطروحة فرضت علينا الدراسة خطة بحث اشتملت على مقدمة، وعرض، وخاتمة، حيث اعتمدنا في العرض على فصلين، حددنا في الفصل الأول ماهية القلق، من حيث مفهومه، أنواعه، وأعراضه، وتطرقنا فيه إلى ماهية الوجودية والقلق الوجودي، وعلاقة القلق بالوجودية، ولعل هاته الأخيرة من أهم النقاط في الشق النظري.

واستهللنا الفصل الثاني بأسباب القلق الوجودي (الوراثية، الاجتماعية، الميتافيزيقية)، وكذا أدرجنا فيه أبرز النظريات المفسّرة للقلق الوجودي، إضافة إلى إدراج أهم أنواع الشخصيات الإنسانية التي تخدم الدراسة، وكذلك قلق البطلة بين الماهية والوجود. وقد أردفنا هذه الدراسة بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج.

وتهدف هذه الدراسة شأنها شأن البحوث العلمية إلى إعطاء تصورات وتفسيرات للقلق الوجودي من زوايا أخرى تجلَّت معظمها في المجال والزمان والأسباب (الوراثية، الاجتماعية، والميتافيزيقية) والشخصيات الانسانية، والتي تحتاج إلى التنقيب والتحليل المعمَّق والتفسير، الذي يستدعي استحضار العلوم الأخرى، والتي من شأنها توضيح ما خفي.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا خلال دراستنا لهذا الموضوع نذكر:

- طبيعة الموضوع التي شملت ثلاثة علوم الأدبية والنفسية والفلسفية والتداخل فيما بينها.
- كما واجهتنا صعوبات خارجة عن نطاقنا، نتيجة الحجر الكلي بسبب فيروس كورونا المستجد **2019**، ضف إلى ذلك المشاكل التقنية المتمثلة في الإنقطاعات المستمرة لشبكة الأنترنيت.

إلا أن هذه الصعوبات لم تكن عائقا بالنسبة لنا في الإخلاص في عملنا لإتمام هذه الدراسة.

ونرجوا أن نكون قد أعطينا للقارئ فكرة شمولية حول موضوع البحث. سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

الفصـــــل الأول

القلق الوجودي: بحث في الماهية والعلاقات

المبحث الأول: مـاهيـة القـلق في علـم النفس

أولا: مفهـوم القلـق

ثانيا: أنـواع القلـق

ثالثا: أعـراض القلـق

المبحـث الثانـي: الـوجـوديـــة والقلـق الـوجـودي

أولا: مفهـوم الـوجـوديـة

ثانيا: مبـادئ الـوجوديـة (مقـولاتهـا)

ثالثا: مفهـوم القلـق الوجـودي

رابعا: علاقـة القلـق الـوجـودي بالـوجوديـة

المبحـث الأول: مــاهيــة القـلـق في علـم النفس

يعد الانسان بالفطرة كائنا اجتماعيا، يؤثر ويتأثر بمحيطه الخارجي، فإذا ما تأثر على الوجه الذي لم يمكنه التأقلم شعر بما يصطلح عليه "**القلق**"، فما المقصود به؟ وكيف يتمظهر؟ ولماذا يأخذ أشكالا بعينها؟

أولا- مفـهوم القلـق:

تنوعت الرؤى وتباينت التفاسير في تحديد ماهية القلق وذلك لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل عالم من علماء النفس إلى هذه الظاهرة، وعلى العموم تنحدر كلمة القلق في اللغتين الإنجليزية والفرنسية من الأصل **Angustia**، وتعني: ما يحدث من ضيق في القفص الصدري على وجه لا إرادي[1]، فإذا أردنا الغوص في المفهوم أكثر وجدنا أن الأب الروحي لعلم النفس الحديث؛ مؤسس علم التحليل النفسي؛ الطبيب السويسري "**سيغموند فرويد**" يعرفه على أنه «حالة خاصة مصحوبة بعمليات تفريغ تتخذ مسالك معينة»[2] «إنه شعور -غامض غير سار- بالتوقع والخوف والتحفز والتوتر، مصحوب بإحساسات جسمية، يأتي في نوبات تتكرر لدى الفرد».[3]

يلاحظ أن "**فرويد**" قد فسر القلق استنادا إلى الموضع الذي ينبعث منه وهو العقل في قوله: "شعور بالتوقع ... والتوتر"، والموضع الذي ينتهي إليه ثم يعود منه إلى الجسد في قوله: "مصحوبا بإحساسات جسمية"، والهيئة التي يأتي على شاكلتها في قوله: "نوبات تتكرر لدى الفرد"، بمعنى أن القلق حال تصيب المرء على فترات متقطعة -غير مستمرة- لكنها تعاوده بين الحين والآخر إذا ما توفر السبب، وهذا فيما يظهر من قول "**فرويد**" السابق.

أما تلميذه "**كارل .ج. يونج**" ، فإنه يعرفه -أي القلق- بأنه «رد فعل يقوم به الفرد عندما تغزو عقله قوى و خيالات غير معقولة صادرة عن اللاشعور الجمعي»[4] : بمعنى أنه

---

[1] – ينظر: الأزرق بن علو: كيف تتغلب على القلق وتنعم بالحياة، دار قباء، القاهرة، 2003، ص81-82.

[2] – سيقموند فرويد: الكف والعرض والقلق، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط 4، 1989، ص107.

[3] – كوام مكنزي: القلق ونوبات الذعر، تر: هلا أمان الدين، دار المؤلف، الرياض، ط 1، 2013، ص 01.

[4] – فاروق السيد عثمان: القلق وإدارة الضغوط النفسية، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1، 2001، ص22

سلوك فردي ناجم عن إدراك واهم للأنماط العليا التي أنتجتها الجماعة عبر مراحل التاريخ، أو عن عدم إدراكها مع اعتقاده بوجوب ذلك وإلزاميته عليه، فيقع في كلا الحالتين موضع التناقض فيأخذ في التوتر الذي قد يكون الخوف سببه كما يكون نتيجة له، إنه كما يقول "**ميسرمان**" : «حالة من التوتر الشامل الذي ينشأ خلال صراعات الروافع ومحاولات الفرد للتكيف»[1] وقد يأخذ شكل «حالة مؤلمة للغاية تنشأ من معاناة عدم الاستحسان في العلاقات **البينشخصية**»[2] كما يذهب إليه "**هاري سوليقان**".

ولعل من أحسن التعريفات التي وقفنا عليها للقلق تعريف عبد الستار إبراهيم الذي يقول فيما معناه أن القلق انفعال شديد جراء مواقف أو أشياء أو أشخاص لا تستدعي معاينتها بالضرورة هذا الانفعال، وهو يبعث في حالاته المتطورة على التمزق والخوف ويحول حياة معايشه إلى حياة عاجزة ويشل قدرته على التكيف والتأقلم[3]، وما يلاحظ في تعريفات الأطباء أو الأخصائيين النفسانيين اقتراب مفهومي الخوف والقلق من بعضهما وذلك لارتباط أحدهما بالآخر ارتباط السبب بالنتيجة، ولهذا يضع "**كوام مكنزي**" –وهو طبيب نفساني– فارقا طفيفا –ولكنه جوهري– بينهما قائلا: إن «الخوف هو الشعور الذي ينتابك عندما ترى أو تختبر بشكل مباشر شيئا تخشى منه، ويمكن اعتبار القلق نوعا من أنواع الخوف الذي تعانيه عندما تفكر في الأشياء أو تقلق بشأنها من دون أن تختبرها بشكل مباشر»[4] وعلى الرغم من أن القلق عند "**أحمد عزت راجح**" داخلي المصدر، فهو غير مفهوم؛ لا تعرف مسبباته ولا مبرراته الموضوعية، إنه خوف يمكن رده إلى ترسبات لا شعورية مكبوته[5]، بمعنى أنه مقتنع بعدم وجود مبرر علمي ومنطقي يفسر لمن يختبر القلق شعورا لماذا يشعر هو بالقلق من أمور لا يشعره غيره منها عدا رد ذلك إلى تراكمات مكبوته

---

[1] – كوام مكنزي: المرجع السابق، ص: ن.

[2] – فاروق السيد عثمان: المرجع السابق، ص: ن.

[3] – ينظر: عبد السلام جودت جاسم: مستويات القلق لدى طلاب جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ع 1، آ ب/ أغسطس 2009، ص 355.

[4] – كوام مكنزي: المرجع السابق، ص: ن.

[5] – ينظر: عبد السلام جودت جاسم: المرجع السابق، ص: ن.

في اللاشعور، قلت على الرغم من ذلك يجيب على تلك الإشكالية أو لنقل عن جزء منها "**جميل صليبا**" حين يقول بأن القلق «شعور يصحب النفس إذا أحست بعدم الرضا، من واقع تراه مناقضا لتطلعاتها»[1]. لكن من أحسن ما قرأنا في مثل هذا قول "**الأزرق بن علو**" : «يمكننا أن نحصر مصادر القلق في إحساس الإنسان ووعيه بوجوده الذي نهايته العدم، قد يضاف إلى ذلك الاستعدادات الفطرية للقلق عند بعض الناس»[2] ، ولازم معناه أن من لم يصل من الناس إلى درجة الوعي بتحقق الوجود ووجوب تحقق العدم لا يشعر بالقلق، وبمفهوم المخالفة فإن من لم يكابد القلق لا يمكن أن يكون قد حقق ماهية الوجود وأدرك وتمثل ماهية العدم، وحقيقته أنه انتهى به المطاف في رحلة تحقيق الذات في منزلة الكينونة أو الوجود المادي لا غير، وإن من كانت الأولى هي حاله فإنه يدرك أن العدم طائله ومادام ذلك كذلك، فإن كان مؤمنا بالحياة الأخرى وجدته قلقا من المجهول القادم، وإن كان دهريا لا يؤمن بما بعد العدم، وجدته قلقا مما لم يحصله من طموحات أو لذات في قطار حياته الذي يسارع تجاه العدم ومن كانت الثانية حاله فلا يجد القلق إليه سبيلا لأنه لا يحس أصلا ولا يعي وجوده، وإن كان في حكم العقلاء، فغفلته تنزله منزلة المجانين الذين لا يدركون وجودهم، فهم حاضرون بالكينونة المادية غائبون بالماهية... ومن هذا يظهر أن القلق في أصله طبيعي غير مرضي يقوم في أحايين كثيرة مقام الدافع والحافز في هذه الحياة، يضاف إلى ما سبق أن من لازم قول "**الأزرق بن علو**" أن هناك أفرادا يكون استعدادهم للقلق فطري أي يعود لأسباب إما جينية ولدوا بها أو لخلل هرموني في عمل بعض أجزاء الجهاز العصبي وهؤلاء قد يكون قلقهم مرضيا إذا لم يمكنهم إدراك حالهم إدراكا معرفيا أولا ثم كانت لهم مهارة التكيف مع وضعهم والاستثمار فيه.

---

[1] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 2، 1982، ص200.

[2] – الأزرق بن علو: المرجع السابق، ص 89.

ثانيا- أنـواع القلق:

للقلق عدة أنواع فرعية، لكننا بحكم طبيعة موضوعنا لن نطرق إلاَّ ثلاثا رئيسية يندرج ضمنها باقي الأنواع وستكون البداية بـ:

1 - القلق الموضوعي العادي: وهو قلق طبيعي غير مرضي، بل فطري وعلامته أن يختبر المرء خوفا جراء خطر من المحيط الخارجي لا يمكنه معه اتخاذ أسباب دفعه أو اجتناب أثره.[1] ومثاله خوفك وقلقك على شخص في غرفة العمليات يحتمل موته مثلما يحتما حياته.

2 - القلق الذاتي العادي: وهو مثل الأول من حيث الفطرة والشعور لكنه يختلف عنه من حيث مصدره فهذا مصدره داخلي، وعلامته أن يختبر المرء خوفا جراء قيود الأنا الأعلى حيث يهم بفعل استجابةً لإلحاحات الهو[2]، ومثاله قلق الإنسان وخوفه حين يدخل في علاقة حميمة غير مبررة مع أنثى.

3. - القلق العصابي: وعلامته أنه داخلي المصدر نابع من عمق الذات لا يوجد له ما يبرره، تثيره مثيرات غير كافية؛ إذ لو كانت كافية لتساوت ردَّات الفعل تجاهها، إنه توجس وتوقع هائم طليق يحمل صاحبه على قراءة كل قادم قراءة سوداوية؛ وتأويل كل حادث تأويلا مأساويا.[3] إنه قلق ترى مكابده يعيش بين نارين نار الخوف من المستقبل، ونار تفسير الماضي والحاضر من منظور الضحية التي اجتمع العالم وظروفه على معاداتها، وافتقدت لكل معين، فيحدث أن تنسحب إلى ركن زاوية وتستسلم للتردد المفضي للعجز.

[1] - ينظر: أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط 7، 1968، ص493.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص 493-494.

[3] - المرجع نفسه، ص 494.

ثالثا- أعراض القلق:

تتنوع أعراض القلق وتتشابك فيما بينها، فمنها ما هو بدني ومنها ما هو نفسي ومنها ما هو معرفي ومنها ما هو سريري، أما البدنية فتأخذ شكل خفقان القلب المتسارع أو نوبات الدوخة والاغماء أو تنمل الأطراف أو اضطرابات المعدة والقولون والجهاز التنفسي أو التعرق دون سبب أو الأحلام المزعجة وأخيرا فقدان السيطرة على الذات[1]، وأما النفسية فتأخذ شكل نوبات هلع تلقائي أو اكتئاب أو النسيان أو ضعف الإدراك أو اختلاط التفكير وعدم القدرة على التمييز أو الخوف الشديد وتوقع الأذى والمصائب مصحوب بالأرق أو الانفعال الزائد وعدم الثقة بالنفس أو التردد في اتخاذ القرارات الحاسمة أو التسرع في اتخاذ القرارات التي تحتاج تريثا[2]، وأما الأعراض المعرفية فيمكن حصرها في التطرف في الأحكام وتفسير المواقف في اتجاه واحد (التزمت) يضاف إليها التصلب وعدم المرونة في مواجهة الحوادث، وكلها نتيجة بناء تصورات عن الدين والنفس والحياة غير مطابقة للحقيقة منفصلة عن الواقع[3]، ومعنى هذا أن القلق يحمل صاحبه -إن هو أصبح مزمنا- على رؤية العالم من منظور الأسود والأبيض لا غير، والأبيض هنا هو الشخص القلق والأسود كل ما سواه، وقد تتطور كل تلك الأعراض وتشتد فتتأزم حال صاحبها وهنا تتحول إلى أعراض سريرية تتمظهر في هيئة ضيق في الصدر واختناق يصحبه صداع في الرأس وتشنجات أعلى الرقبة مع ارتفاع في ضغط الدم وخفقان متسارع في دقات القلب مصحوب بجفاف في الحلق غالبا ما يتطور إلى اضطراب هستيري في الحركة وعدم السكون وربما الهرب في اتجاهات مختلفة دون هدف، ثم تخبو حتى يدخل المريض في حال شبيهة بالجمود وعدم الحركة يفقد معها الرغبة في الكلام، وتلازم هذه الحال فترة أرق لا تستجيب للعقاقير، لكنها قد تكون متقطعة، مع ذلك ينجم عنها إعياء مزمن وفقدان في الشهية مصاحب لهبوط في الوزن ثم خوف

---

[1] – ينظر: فاروق السيد عثمان: المرجع السابق، ص30.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: ن.

[3] – ينظر: بكار سارة : أنماط التفكير لدى طلبة الجامعة وقلق المستقبل المهني، رسالة ماجستير، علم النفس، إنتقاء وتوجيه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013، ص45.

متجدد من المستقبل قد يمتد إلى توقع أخطار وأمراض متوهمة تصيب أفراد عائلته ومقربيه يعقبها خوف من الجنون يأخذ شكل وساوس وإلحاحات يدخل معها في حال من الكآبة والقنوط المزمن ويفقد معنى الحياة ما بعض المرضى على محاولة الانتحار.[1]

وما نفهمه من هذه الأعراض وتقسيماتها أن علامات القلق في الأصناف الثلاثة الأولى قد تكون عادية غير مرضية، ويمكن التعايش معها، وقد تكون سريرية (مرضية) تنذر بالخطر القائم وتستدعي تدخلا سريريا وعقاقير وجلسات دورية مستمرة لأن التكوين وارد بقوة في مثل هكذا حالات.

وعلى العموم فإن معيار ما يفرق به بين العادي والمرضي عند الأطباء النفسانيين هو تأثير ذلك على حياة الفرد العلمية أو العملية أو الأسرية أو البينية الاجتماعية[2]، ومعناه – إسقاطها على موضوعنا– أن القلق مالم يؤثر على مسار المرء التعليمي العلمي، أو الوظيفي، أو وضعه العائلي أو أثر في محيطه وعلاقاته الاجتماعية بالسلب، فهو عادي يتعايش معه وإلا فهو عصابي.

[1] – ينظر: فخري الدباغ: أصول الطب النفساني، دار الطليعة بيروت، ط 3، آذار 1983، ص 100–102.

[2] – ينظر: طارق الحبيب: ما هو المرض النفسي، فيديو على اليوتيوب أضيف بتاريخ: 5 أفريل 2012. وفيه يجيب البروفسور استشاري الطب النفسي على أسئلة حول الأمراض النفسية في برنامج "نظرة شرعية" على قناة الوطن التلفزيونية.

المبحـث الثانـي: الـوجـوديــة والقلـق الـوجـودي

أولا- مفهوم الوجودية:

بلغت الوجودية أوجها في السنوات التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة، كان هذا عصر الرقص الوحشي، وموسيقى الجاز في نوادي **ليفت بانك** المغشية بالدخان ومسرح العبث والحرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. أو حسب التعبير الفرنسي، كانت الوجودية ثمرة التحرير. كان من الصعب الحفاظ على قوة هذه اللحظة، ومع هذا بقيت روحها في أعماق المجتمع العربي، فتجلت في عدة حركات إنشقاقية في العقود اللاحقة، وربما كانت سببا في اندلاع أحداث مايو 1968.[1]

تُعد الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية، وفي الوقت نفسه هي من أقدمها:

أحدثها لأن لها مركز الصدارة والسيادة في الفكر المعاصر، وهي أصدق تعبير عن حالة القلق العام الذي تملك العالم الشعور الحاد به بعد الحرب العالمية الأولى ثم الثانية. فلقد كان لهذين الحادثتين أثر بالغ في إشعار الإنسانية بالمعاني الكبرى، التي تؤلف نسيج وجودها وفي وضعها بصورة كلية أمام أكبر مصدر من مصادر قلقها؛ وأعني به الفناء الشامل الذي ينتظم الشعور بأسرها.[2] وهذا ما جعلهم يشعرون بالمأساة لكل أفرادها، حيث كانت الحروب قديما تقتصر على منطقة معينة ومكان محدد وعدد محدود من الناس، والباقي في طمأنينة وأمان تجعل النفس الإنسانية بعيدة عن الشعور بالقلق والمأساة.

أما كونها من أقدم المذاهب الفلسفية، لأن العصب الرئيسي للوجودية هو أنها فلسفة تحيي الوجود، وليس مجرد تفكير في الوجود. والأولى يحياها صاحبها في تجاربه الحية وما يعانيه في صراعه مع الوجود في العالم. أما الثانية فنظر مجرد إلى الحياة من خارجها وإلى الوجود في موضوعه، ومن هنا كان من الممكن أن نجد البذور الأولى لهذه الفلسفة التي

---

[1] – توماس آرفلين: الوجودية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: مروة عبد السلام، دار هنداوي للتعليم والثقافة، ط 1، 2014، ص104.

[2] – عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ط 1، 1980، ص19.

تحيي الحياة وتجد الوجود لدى بعض المفكرين والفلاسفة من أقدم العصور، وهم أولئك الذين أحالوا تجاربهم الحية إلى معادن فلسفية.[1]

والوجودية تثير وتحرك في نفس الفرد القلق والحيرة والمرارة واليأس، وتبحث عن معنى الإنسانية، وهذا الأخير ضروري في عصر ضاع فيه هذا المعنى، فالوجودية تعرف الإنسان على قدراته ومهاراته على العمل والإختيار، وبذلك تثبت كينونته ووجوده.

إذن هي جاءت كردة فعل على مساوئ الحرب العالمية الأولى، والتي خلفت ورائها آلاف القتلى والجرحى، مما جعل مفكري ذلك العصر يبحثون عن فكر أو تيار يعيد للإنسان قيمته ويعزز أهمية وجوده، فقاموا بنشر أفكارهم عبر المسرح والأدب والشعر، حتى أصبح من أشهر التيارات الفلسفية الإنسانية في أوروبا.

«وبالتالي هي حركة فلسفية لها جذورها القديمة في تاريخ الفكر الإنساني وهي تنظر إلى حقيقة الكائن التي تتحدد عن طريق الوجود في مرحلة معينة وتتميز بالإستخفاف بالمجردات، وتقديس التجربة الإنسانية الفردية، وتؤكد هذه الحركة أهمية الشخص الفردي».[2]

ويعرفها كذلك "**جان بول سارتر**" بأنها تقوم على أساس أن الوجود يسبق الجوهر أو الماهية، والوجود الفعلي في نظره عبارة عن خروج الفرد من حالة الخمول البدائي بواسطة الثورة النفسية الناتجة عن القلق واليأس إلى جو من الحرية المطلقة يستطيع فيه أن يشكل حياته بمحض إرادته متحملا المسؤولية الكاملة عن جميع تصرفاته وأن يفضي على العالم الذي يعيش فيه معنى ومنطقا.[3]

فهي مذهب إنساني يهتم بالمعاني والقيم الإنسانية والشخصية، ويهتم بتحقيق الوجود البشري الأصيل، فإذا تأملنا مفهوم الوجودية نلاحظ بأن "**كير كجارد**" هو أول من وضع الأسس الأولى لها فالإنسان بوصفه الذات المفردة، هو مركز البحث وأحواله الوجودية الكبرى مثل: الموت والخطيئة والقلق والمخاطرة هي المقومات الجوهرية لوجوده، والحرية والمسؤولية

---

[1] – ينظر: عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص 20.

[2] – إبراهيم السيد: قاموس علم الاجتماع وعلم النفس، دار البداية، عمان، 2013، ص 55.

[3] – مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية، مكتبة لبنان، ط 2، 1984، ص 430.

والإختيار هي المعاني الكبرى في حياته، وعلى هذه الأسس أقام "**هايد غرثم ياسبر**" بناء الوجودية.[1]

فالوجودية بالمعنى العام عند "**صليبا**" هي إثبات لقيمة الفرد ووجوده، وكينونته، وهي مذهب "**كيركجارد**" و"**هيدغر**" و"**ياسبر**" و"**ستوف**" وغيرهم...

أما بالمعنى الخاص فهي ما قدمه "**بول سارتر**" من خلال كتابه الوجود والعدم، وأذاعه وسط الجمهور في قالب مسرحي وروائي ومقالاتي، واختصر هذا المذهب بأسبقية الوجود على الماهية وحرية الإنسان في الإختيار وتكوين نفسه بنفسه، ويملأ كينونته كيفما شاء في المقابل نجده يتعارض مع قول القدماء الذين يقدمون الماهية على الوجود كون هذا الأخير زائد على الماهية.[2]

ومن خلال هذه الفلسفة الوجودية نشأ الأدب الوجودي بكل ما يحتويه والذي مثله كل من الثنائي الفرنسي "**جبريل مارسيل**" و "**جون بول سارتر**"، ورغم اختلافهما وتضادهما من حيث النزعة الوجودية العامة، حيث أن الأول ذو نزعة دينية، والثاني بمعزل عن كل شعور ديني،

لكنهما يتفقان ويشتركان في الوجودية، بأدبها المسرحي الذي من شأنه نشر الوجودية وذيوعها بين عامة الناس.[3]

يقول "**ريجيس**" أن الوجودية تلزم دائما ابتداء من وجود الفرد الذي هو الشيء المتعين نفسه، في امتلائه الأنطولوجي، ولا قيمة في البداية إلا للمعطيات المدركة وحدها التي تضرب بجذورها في الوجود العيني، والتي هي بالضرورة معطياتي أو معطياتك، لا معطيات «كل الناس» إذ لا يكون لها في هذه الحالة أي معنى. إذن ينبغي علينا دائما أن نجعل البحث الوجودي شاملا لا للوجود فحسب الذي ما برح موضوعا مجردا، بل للوجود والفرد

[1] – عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص 22.

[2]– ينظر: جميل صليبا: المرجع السابق، ص565.

[3] – ينظر: عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص25.

الذي هو تاريخ من حيث واقعه العيني، أعني أنه سلسلة من الحوادث اكتسبت حقيقة واستمرارا نتيجة لأنني نسبتها إلى نفسي، فتحولت ضرورتها إلى حرية.[1]

وهذا يعني أنه إن كانت إلزامية الوجود موضوعا للتفكير فسيتخذ صورة مفهومات وهو ضرورة الإنتقال إلى صعيد المفهومات والنسق، ووجب العودة والرجوع إلى تجارب مفردة يستمد منها دلالته وحقيقته، وهذه التجارب تتجاوز كل ما هو موضوعي ومجرد.

ولعل ما يميز الإنسان عن غيره من الموجودات هو امتلاكه للحرية التي لا نظير لها في إمكانية التخطيط للمستقبل، وهي في المقابل مسؤولة عن قراراتها، ومن هنا يتبين أن الوجودية تضع الحرية كشرط أساسي لكل بناء وجودي. وهذا ما يعبر عنه "**سارتر**" بقوله: «إن الوجودية فلسفة متفائلة لأنها في صميمها فلسفة تضع الإنسان مواجها لذاته، حرا يختار لنفسه ما يشاء».[2]

وبهذا تكون الوجودية فلسفة الجوانب الإنسانية، فكل ما يتعلق بالإنسان تطرقت إليه في عرض أطروحاتها وتفلسفت فيه، وأهم المواضيع الإنسانية تتمثل في الحرية واتخاذ القرار والمسؤولية كلها نابعة من الفلسفة الوجودية التي ترى في ضرورتها القصوى للوجود الإنساني.

ومن هنا يمكن القول أن الوجودية مذهب إنساني كونها اهتمت بالإنسان وجعلته الأمثل بين الموجودات وأعلت من قيمته التي سلبت من زمن مضى.

---

[1] – ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجورد إلى جان بول سارتر، تر: فؤاد كمال، دار الآداب، بيروت، ط 1، 1988، ص 46.

[2] – جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الخفي، الدار المصرية، القاهرة، ط 1، 1964، ص9.

ثانيا– مبـادئ الوجوديــة (مقولاتــها):

من خلال مفاهيم الوجودية، نستنتج أن لهذه الأخيرة جملة من المبادئ التي اعتمد عليها الوجوديين، وتمثلت فيما يلي:

1–المسؤولية: وهي أول مبدأ وضعته الوجودية، ويتمثل في جعل كل إنسان متملكاً لوجوده وتحميله المسؤولية الكاملة عن وجوده، وعندما نقول بأن الإنسان مسؤول عن ذاته، فإننا لا نقصد بذلك أن الإنسان مسؤول عن نفسه كفرد، وإنما عن كل الأفراد.

فالإنسان هو الذي يختار كل أفعاله وأقواله، وعن كل ما يصيب البشر أيضا، وبذلك يتحول إلى نقطة أخرى وهي القلق. فنتيجة المسؤولية الكبيرة التي يكون الإنسان فيها يكون القلق نتيجة إلزامية. ويذكر "**سارتر**" أن الإنسان الذي يلتزم وينتبه إلى أنه ليس من يختار ما يكون عليه فقط، وإنما يكون مشروعا، يختار نفسه في الوقت الذي يختار فيه الإنسانية برمتها. لن يكون قادراً عندها على الإفلات من الشعور بمسؤولية تامة وعميقة.[1]

2–إهتمام الوجودية بمسألة الوجود: يجمع الوجوديون على رفضهم لفكرة الوجود، لاعتباره شيئاً يمكن معرفته من الخارج (الكون والمجتمع) أي موضوعيا، وهو بذلك ليس مفهوما مجرداً، ولا يمكن إدخاله في قوالب التصورات، ولا يمكن أن ينتج عن التصور، والاستنباط، فهو" ملقى هناك لا يرتكز إلا على نفسه ولا يمكن إدراكه إلا بالحدس، وهو مكان مطلق، يتعالى عن كل موضوعية، وغير قابل للتجديد ".[2]

هذا الوجود الذي يثير اهتمام الفلسفة الوجودية ينطوي على الذاتية، وهو يسير بصفة دائمة نحو الممكنات، فلا أحد يعلم كيف ستكون حياته، سعادة أو تعاسة؟ فالوجود هنا ليس مجرداً، بل هو وجود يلاحق حياة الإنسان ويلازم وجوده في هذا الكون، أين يحقق امكانياته

[1] – أحمد بادغيش: المسؤولية في المذهب الوجودي بشروحات سارتر، ساقية©2020. ALL RIGHTS RESERVED، 08سبتمبر 2015.

[2] – جان فال: الفلسفة الوجودية، تسيير شيخ الأرض، تر: فؤاد كامل، دار بيروت، لبنان، ص60.

ويجسد حريته في كل حين، وبالتالي فالوجود عند "**هيدغر**" هو «أن يكون المرء خارج ذاته ليخلق العالم من حوله».[1]

ونجد أن الفلسفة الوجودية تتعارض مع رأي الفيلسوف " **رينيه ديكارت**" الذي آمن بأولوية الوعي على الوجود. بينما يؤكد الوجوديون أن الإنسان وُجد أولا في عالم ملموس ومتأصل، وبذلك يسبق الوجود الوعي، وتلك هي الحقيقة المطلقة. ونخلص مما سبق إلى أن الوجود يسبق الجوهر.

3-رفض الوجودية للفلسفات السابقة: عارضت الفلسفة الوجودية الفلسفات التقليدية السابقة، التي كانت تعطي الأولوية للماهية حيث نعتها بالفلسفات الماهوية (ما، هوية)، وجعلتها سابقة عن الوجود، ووضعت الفرق بين المحسوس والمعقول، والجزء والكل، فجردت الشخص من طبائعه الفردية العينية، واهتمت بالمفاهيم العامة.

كما نظر الوجوديون إلى الفلسفات التقليدية على أنها فلسفات جبرية، «فالإنسان يأتي للوجود متكامل بعقله، ومشاعره، وبنشاط مستمر للحرية التامة غير المشروطة بأية مسؤولية، أو أي قيود في التفكير والممارسة، كون الإنسان في نظر الوجوديون يوجد قبل ماهية الإنسانية، ولذا لن تكون للإنسان ماهية، إلا عندما يكون ميتاً».[2]

فالفلسفة الوجودية ترفض مبدئياً كل الأشكال الجاهزة والموروثة والسائدة؛ لأنها قيود وأثقال تمنع الحرية الفردية، ولذا فهي تنبذ الدين. أما الماركسية فلم تنسجم معها انسجاما كاملاً، وإن كانت تلتقي معها في جوانب الواقعية. فلقد أخضعتها كغيرها للنقد واحتفظت بحق الفرد في المخالفة والإنتقاء، وحرصت على ألا تذوب حريته في إطار الجماعة.

[1] – ريجيس جوليفيه: المرجع السابق، ص18.

[2] – ينظر: جان فال: المرجع السابق، ص10.

4-الـذاتيّة: يوضّح "**كيرجارد**" أنّه يستطيع أن يصرف نظره عن كل شيء، لكنه لا يستطيع أن يصرف عن ذاته، فالذاتيّة بالنسبة له، هي الحقيقة. وكذلك الذاتيّة عند الوجوديون هي مركز المبادرة ومقر الوجدان والشعور.

والذاتيّة مرتبطة بفكرة الإختيار، فالإنسان هو الذي يبني قاعدة لنفسه، ويصنع ذاته بنفسه ويتّخذ قراره وموقفه، وهذا الموقف ذو قيمة مستقبلية وعملية تجديد للمستقبل.

ولذا فإنّ أهم ما يميّز الفلسفة الوجودية عن الفلسفات الأخرى كونها ترتبط ارتباطًا كبيراً بوجود الإنسان لما يحمله من غموض ويأس، وبالتالي فهي تهتم بالإنسان الذي يعاني الشقاء ويواجه ويتحدى مصيره، وأصبحت تتناول «مشاكل الذات الفردية ومعاناتها ومسؤولياتها وامكانياتها».[1]

ودعا الفيلسوف "**فريديش نيتشه**" إلى أنه يجب على الفرد تقييم المواقف بنفسه، ولذلك يعتقد معظم الوجوديين أن الخبرة الشخصية، وقناعات الفرد ذاته هي أمرٌ أساسي لوصوله إلى الحقيقة.[2]

5 -العقلانيـة: حيث يراها الفيلسوف " **كيرجارد**" أنها عبارة عن آلية أو وسيلة يستخدمها البشر لمواجهة قلقهم الوجودي في مثل هذا العالم، كما أكّد على وجوب اختيار الأفراد طريقهم بأنفسهم بدلا من الإعتماد على معايير موضوعية؛ فالإنسان موجود متكامل ما يجعله يمتاز بعقله وما يتبعه من جسد وروح ومشاعر.[3]

6-الحرية المطلقة: يؤمن الوجوديون بمبدأ الحرية المطلقة للإنسان، لبناء شخصية حرة وواعية ووجب عليه أن يثبت وجوده كما يشاء، وبأي وجه يريد دون قيود، وعلى الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود؛ الدينية أو الإجتماعية أو الفلسفية أو المنطقية، ويقول المؤمنون منهم أن الدين محله الضمير، أما الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشعب المطلقة.[4]

---

[1] – ينظر: جان فال: المرجع السابق، ص 186.

[2] – لبنى الحسامي: ماهية الفلسفة الوجودية، أراجيك مجتمع، 4 أبريل، 2020.

[3] – ينظر: المرجع نفسه.

[4] – غادة الشامي: الفلسفة الوجودية، عرض المذهب ونقد الفكر، موقع الألوكة، 9 نوفمبر 2014.

7-الموقف الإرادي: حيث يتخذ الفرد قراره وموقفه، وهذا الموقف ذو قيمة مستقبلية لأنه اتجاه في عملية تحديد المستقبل، حيث تتلاقى القناعات والمواقف في نقطة واحدة.[1]

ثالثا- القلق الوجودي:

القلق لدى الوجوديين ما يسمى بالقلق الوجودي، هو القلق تجاه الحياة بكل معانيها وبكل تفاصيلها، فهو الحياة الإنسانية ذاتها، إذ يعتبر من أهم المشكلات للوجود الإنساني، فهو ظاهرة منتشرة وغامضة في نفس الوقت، فيعرفه "**مارتن هايدجر**" «أنه هناك، ومع ذلك فهو لا مكان، أنه قريب لدرجة أنه يجثم على أنفاسنا ويخنقها، ومع ذلك فهو في لا مكان».[2]

أما "**بول تيليك**" فيعرفه على أنه «الحالة التي يدرك فيها الكينونة إمكانية اللاكينونة الخاصة بها (**the existential awareness of nonbeing**)».[3] «واللاكينونة هي نفي الوجود الإنساني في كل مستوياته المادية والمعنوية، أنه التهديد بالعدم، وهو ملازم للحياة، فالعدم هو قرين الوجود، واللاكينونة هي قرينة الكينونة، لذلك فإن القلق الوجودي هو قرين الحياة الإنسانية. وهو قلق أساسي وعام وغير قابل للإزالة لأنه ينتمي إلى الوجود ذاته».[4]

فلا نستطيع أن نقول بأن القلق الوجودي هو إيجابي، وفي نفس الوقت لا نقول بأنه سلبي (مرضي)، بل هو ظاهرة إنسانية تنتمي للوجود الإنساني ذاته، تكشف عن خصائص الوجود لكل فرد.

---

[1] – ينظر: عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999، ص 183.

[2] – شاهين إيمان سعيد فوزي: القلق الوجودي نحو نموذج شامل للقلق، مجلة كلية التربية، عين شمس، ع 26، ج 4، 2016، ص 19.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص: ن.

فهو الإحساس بالصراع المطلق الذي لا حل له، ذلك الصراع الذي يتمزق فيه الموجود. فإذا بلغ القلق حده الأقصى، أفضى بالإنسان إلى الجنون.[1]

والقلق عند "**نيتشه**" ينشأ من فكرة "العود الأبدي"، وهي «الفكرة التي يتخيل بها "**نيتشه**" أنه يقود عالم الظواهر إلى الحدود التي يخلق فيها هذا العالم نفسه. هناك حيث يريد أن يلوذ بأحضان الواقع الحقيقي الفريد». ومن الحاضر ينبثق القلق بالضرورة من حيث أنه في ذاته سلب في حالة حركة العلة والغاية، وعنصر في حلقة تثير الدوار، يدور الإنسان في داخلها دوراناً أبديا دون سبب أو مبرر عائداً دون انقطاع إلى نفس النقطة، ومقضياً عليه أبداً بأن لا يقيس نفسه إلا بالنسبة إلى نفسه. فهو مرغم على تجاوزه وهو عبارة عن العودة إلى الوراء، وعلى حرية هي قدر محتوم.[2]

ويعتبر القلق ظاهرة إنسانية مميزة، ذلك أنه قلق في صميم الوجود الإنساني، ومصاحب له مادام الإنسان موجود، وهو ليس ظاهرة مرضية بالضرورة، بل هو بالأحرى ظاهرة سوية تحفظ للإنسان دافعه للحياة بوصفه إنسانا، وتحفزه دائما للترقي، وبلوغ الأهداف، الهدف تلو الهدف، أنه الضريبة التي يدفعها الإنسان كي يحتفظ بإنسانيته ويحقق ذلك في صيرورة متصلة، بحيث لا يكتفي أبداً بما تحقق، وإنما يتوجه بالفكر والفعل نحو ما لم يتحقق بالفعل.[3]

ولا شك في كون جميع الناس يخافون ويشتكون من القلق الوجودي وذلك لخوفهم من الموت، ومن المجهول، ومن الفشل، ومن الشيخوخة، فحياة الإنسان مرتبطة بالقلق الوجودي، سواء صغيراً أو كبيراً، طفلاً أو شيخاً، بدائي أو متحضر، لا يخرج كونه حيواناً ينشد الأمان، ويسعى للوصول إلى الهدوء، والأمان والإستقرار، وهو حين يصطدم بالعوائق والعقبات، فإنه لا يلبث أن يدرك أن حياته لا يمكن أن تكون سلسلة من المكاسب، والإنجازات، والإنتصارات، وهنا يظهر القلق الوجودي المتمثل في الخوف من الفشل، وكأنه

---

[1] – ريجيس جوليفيه: المرجع السابق، ص 53.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 54.

[3] – شاهين إيمان فوزي: المرجع السابق، ص 121.

تعبير عن خوف الإنسان من الزمان، وقلقه على المستقبل، وجزعه من المجهول، وحرصه على التمسك بالحياة، فالإنسان يعاني من القلق الوجودي. ولأنه يخشى أن يفشل في علاقاته الإجتماعية على أن القلق الوجودي الناتج عن الخوف من الفشل قد يكون في بعض الأحيان مجرد عرض من أعراض الشعور بالعجز أو الإحساس بالنقص، ويرى " **فرويد**" أن حالة الخطر تتكون في تقدير الشخص لقوته بالنسبة إلى مقدار الخطر، ومن اعترافه بعجزه أمامه عجزاً بدنياً إذا كان الخطر موضوعيا، وعجزاً نفسيًا إذا كان الخطر غريزياً.[1]

أما المدرسة الوجودية فتراه بأن يحتفظ الإنسان بدافعه للحياة بوصفه إنساناً وتحفزه دائما للترقي، وبلوغ الأهداف، ولقد لاحظ علماء النفس أن القلق الوجودي يتخذ في العادة صورتين مختلفتين هما: صورة الخوف من الحياة وصورة الخوف من الموت، إن الحياة هي قلق وجودي من التقدم والإستقلال الفردي، لأننا هنا بإزاء قلق يظهر بصفة خاصة عند احتمال حدوث أي نشاط ذاتي للفرد، أو عند سعي إمكانياته الخاصة نحو خلق ابتكارات جديدة، أو العمل على إيجاد تغيرات جديدة في شخصيته أو رغبته في تكوين علاقات جديدة مع الناس. فيعتبره " **فروم**" أنه في كل هذه الحالات مظهر لخوف الإنسان من الإنفصال عن علاقاته وأوضاعه السابقة، أما الخوف من الموت فهو على العكس من ذلك، هو قلق وجودي ناتج عن الخوف من التأخر وفقدان الفردية، وكأن الفرد يخشى أن يذوب في الكل، وليست الحياة في نظر " **رانك**" سوى صراع بين الإنفصال والإتحاد، أو بين الحياة والموت، أو بين القلق من النشاط الذاتي المستقل، والقلق من الإعتماد على الغير، وبهذا لا يكون الخوف من الموت سوى مجرد قلق وجودي تستشعره الإرادة الفردية الخلاقة التي تسعى نحو التفرد والإنفصال.[2]

[1] – سيجموند فرويد: القلق، تر: محمد عثمان نجاتي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1957، ص 95.

[2] – فروم أريك: الخوف من الحرية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، ص 85.

كما يراه " **كوري**" أنه عبارة عن استجابة الفرد لما يقف أمامه من وقائع، وهذا النوع يؤدي إلى الكبت ويمكن فقط استعماله كدافع للتغيير. ويعرفه " **الطيب**" أنه ذلك النوع من القلق اليسير الذي ينتاب كل الذين يتحملون مسؤوليات وجودهم، وهذا ما يلاحظ عند الطالب قبل دخوله الإمتحان، وعند الكاتب قبل نشره مؤلفاته، وعند الطبيب قبل دخوله غرفة العمليات، إنه ليس سوى التوتر بين الآن والمستقبل.[1]

وهذا ما يذهب إليه " **بيرلز**" في قوله: «إن القلق الوجودي هو الهوة بين الحاضر والمستقبل، فكلما ابتعد الفرد عن ركيزة الحاضر المؤكدة بأمنه وانشغل بالمستقبل، كلما عانى من القلق الوجودي، ومن ثم فالقلق الوجودي كما يؤكد الطبيب لا يقصد به القلق العصابي الذي يدل على اضطراب انفعالي.

ويراه " **يالوم**" أنه هو عبارة عن إزاء فكرة انتهاء وجود الإنسان بوصفه كينونة بكل ما تنطوي به الكينونة من معان وجوانب.[2]

فنرى القلق الوجودي هو القلق الذي يحرص الإنسان على التفكير بالممكنات المتعددة الموجودة أمامه في المستقبل لكي يختار بينها، فإنه ليس بحاجز يفصلنا عن العمل بل هو جزء منه. فالقلق الوجودي عبارة عن دفقة وحماسة الحياة التي نحملها معًا، وارتفاع القلق علامة على نبض الحياة، رفضًا للإستسلام، وتحديًا للصعوبات.

كما يؤكد مكاوي بأنه قلق سوي بناء، فإذا حاول الإنسان تجنبه كان عليه أن يضمر بكل نتائجه الإيجابية، وأن الإنفتاح على حياة جديدة يعني الإنفتاح على القلق، والإنسان يدفع ثمنًا باهضًا إذا حاول تفادي هذا القلق، وعلى هذا فإن القلق الوجودي ليس مرضا، وإنما هو

[1] – محمد الطاهر الطيب: تيارات جديدة في العلاج النفسي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989، ص75.

[2] – محمد إبراهيم الفيومي: القلق الإنساني، مصادره، تياراته، علاج الدين له، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص 87.

شرط أساسي للصحة النفسية، لأنه مؤشر يدل على التوتر الذي يستثيره الفرد بين ما حققه وما بقي له أن يحققه.[1]

ويعرفه " **ماي**" أنه التوجس الذي يستثيره التهديد الموجه لبعض القيم التي يعتبرها الفرد أساسا للحياة النفسية من قبيل فقدان الحرية، أو لبعض القيم التي يطابقها الشخص مع وجودهن كذات من قبيل الوطنية، أوجب شخص آخر معين، أو المكانة بين الأقران، أو الإخلاص للحقيقة العلمية، أو المعتقدات الدينية.[2]

ومعظم الوجوديين يتفقون على أن القلق الوجودي يصاحب الإنسان مادام على قيد الحياة، وليس له موضوع واضح، وإنما هو قلق إزاء الحياة في منتهى من هذه المواقف التي يتساءل الإنسان في مواجهتها: هل أكون أم لا أكون إنسانًا حيًا فاعلًا؟

فهو بالنسبة إليهم عدم الرضا عن الواقع، ما يدفع به إلى التغيير، لذا فهو وظيفة إيجابية، حيث يعتبر من المحفزات الإنسانية، مما يدفع الإنسان للحياة والغوص في أعماقها ومواجهة كل معيقاتها، والبحث في الوجود الحقيقي للإنسان، فالقلق الوجودي لا ينشأ من الماضي، فهو مرتبط بمستقبل الفرد لما يحمله من أحداث تهدد وجوده الإنساني، وتعيق مسار حياته.

ونذكر هنا بعض آراء الفلاسفة في تعريفهم للقلق الوجودي:

- **فرانكل Frankl (1980)**: القلق الوجودي هو الخوف من الحياة وفي الوقت نفسه الخوف من أحداث الحياة ككل.
- **جابروكفافي (1990)**: هو إحساس عام بالقلق والخوف والتوجس، يرتبط بشعور أن الحياة لا معنى لها في النهاية وعديمة الجدوى، وإننا مغتربون لا عن الآخرين فحسب، بل وعن أنفسنا أيضا.

[1] – صلاح فؤاد مكاوي: فاعلية برنامج للعلاج بالمعنى في خفض مستوى الإكتئاب لعينة من شباب الجامعة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1997، ص 22.

[2] – رولو مايك: البحث عن الذات، تر: عيد علي الجسماني، دار الفاسي، عمان، ط 1، 1993، ص 44.

- **مورس Morse (1998):** هو هم عميق يتعلق فيما إذا كان الإنسان يعيش حياة ذات معنى وإنجاز أو لا، وإذا لم تكن كذلك فإن الوعي بحتمية الموت يمكن أن يؤدي بالشخص إلى قلق عام.
- **ناش بوبوفك Nach popovk (2000):** الإحساس بالخوف من الموت والشعور بانعدام المعنى من الحياة يعززه الشك والعزلة والإنفصال عن الآخرين.
- **سميث Smith (2005):** المعرفة بالفناء الشخصي لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الواعي بمدة بقائه على الأرض.[1]

لذا نقول بأنه ذلك القلق الذي يدور حول وجود الفرد الحقيقي، وهذا القلق يخبره الفرد كفزع، أو خشية ترتبط بحقيقة أن كل الناس عرضة للحوادث والموت، أيضًا حقيقة أن كل فرد يشيخ ويموت.

وخلاصة القلق الوجودي يكشف للموجود عن موجوده.

رابعا– علاقة القلق الوجودي بالوجودية:

الوجودية تيار فلسفي يميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود، ويؤكد على تفرد الإنسان باعتباره صاحب تفكير، وحرية، وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه خارجي أيًا كان، لكن عندما تصاحب الإنسان نزاعات أو حروب يصبح الفرد يعيش الوحدة ويشعر بالعبثية أي عدم وجود معنى للحياة فيصبح عند الفرد حالة تسمى بالقلق الوجودي، حيث ينشأ شعور باليأس والقلق وتصبح هناك حاجة فكرية لمناشدة الإنسان بأن يلتفت إلى إبراز قيمة الوجود وأهميته...

ويبدأ فهم معنى الوجود بمعايشة الواقع وجدانيًا أكثر منه عقليًا، ثم يبرز اكتشاف المعاني الأساسية في الوجود الإنساني، العدم أو الفناء أو الموت، اليأس، القلق الوجودي، وهنا تكتشف القيم الإنسانية الخالصة دون موجهات خارجية لا صوتية أو ميتافيزيقية، هنا ظهر ثلاث أنماط من الناس، الأول يعيش للمتعة واللذة، منفلت عن المسؤولية الفردية والجمعية

[1] – الخزرجي سناء: الإبداع الفني وعلاقته بالقلق الوجودي لدى طلبة، كلية العنون الجميلة، مجلة كلية التربية، العراق، المجلد 2، ع 4، 2010، ص487–559.

(تمتع بيومك). الثاني يعيش تحت لواء المسؤولية والواجب نحو المجتمع والدولة والإنسانية. الثالث يعيش حالة متجردة عن اللذة والمتعة أقرب إلى الزهد الصوفي.

ويمكن مشاهدة المسارات الثلاثة في شخص واحد حيث يتقلب ويتغير في تفكيره وسلوكه ومواقفه. الثابت في هذا التيار الفلسفي أن الإنسان لابد وأن يحل مشاكله بإرادته وحريته، (الإنسان مجبور أن يكون حرًا)، ويطلب الوجوديون من الإنسان أن يكون نفسه، بمعنى أن يلتزم بطريقة يرضاها مع التأكيد على قيمة العمل. هنا يكون المرض النفسي عند الوجوديين (موقف إنفعالي) تجاه الوجود والعدم، وهو بالأحرى ليس مرضًا مستقلًا، بل تحولًا وجوديًا، ويكون العلاج بالزمن أي أن ينسى الفرد الماضي ويتطلع على المستقبل كحل لمشاكله.[1]

إن أساس القلق لدى الوجوديين مقرر من ممارسة الإنسان لحريته لمواجهته للمجهول كون هذا الأخير خبرة آنية وليس لها علاقة بالماضي.

فالقلق الوجودي وعلاقته بالوجوديين يتمثل فيما يلي:

1- الإرتباط الزمني: حيث نظر الوجوديين أن القلق الوجودي خبرة آنية ليس لها علاقة بالماضي، فعند اتخاذ الفرد قرار معين في مجال معين، فإن هذا القرار يقوم بتغيير هذا الإنسان، ويضعه أمام مستقبل مجهول، وبالتالي ينشأ القلق.

لذا فالوجودية رأت في القلق خبرة إنسانية مكونة من الذات، ومن هنا فإن الوجودية تقر بأن القلق شيء خاص بالمستقبل، ويرى " **هيدجر**" أن نقطة البدء في الزمانية هي المستقبل، «فالزمانية تزمن نفسها أصلا من المستقبل». فالمستقبل هو ماله الصدارة في مفهوم الزمانية وليس الحاضر كما الحال في التصور التقليدي لفهم الزمان.[2]

فالوجود الإنساني الأصيل وجود متزمن يشير دائمًا لضرورة المستقبل، لكن بما أن النية تتوجه إلى المستقبل، فهذا يعني دون شك أنها موجودة من قبل بالفعل من قبيل أنها مقذوفة

[1] – فؤاد الصلاحي: القلق الوجودي لدى الشباب في دول الربيع العربي، الحوار المتمدن، 19 جوان 2016.

[2] – جمال محمد أحمد سلمان: الوجود والموجود مارتن هيدجر، دار التنوير، بيروت، 2009، ص 181.

في هذا العالم في مكان ووقت معينين، وهذا يدل على أنها عبارة عن ماضٍ أيضًا، وإذا كان لابد لها أن تجد ذاتها فإن هذا التعبير ينطوي على الماضي والمستقبل معًا.[1]

2- الإرتباط السببي: تتفق الوجودية على أن القلق عن الصيرورة الإنسانية بمعن حركة الإنسان في بيئته الخارجية، فالقلق الوجودي ليس له سبب معلوم مشخص.[2]

فالقلق الوجودي له علاقة بدرجة وعي الإنسان.

ترتكز فلسفة " **هيدجر**" على مفهوم القلق الذي يعد جوهر الوجود الإنساني وذلك راجع لكون أن " **هيدجر**" يريد أن يستخلص من تجربته الذاتية القائمة على القلق، الشروط العامة والسمات المشتركة لكل وجود فردي أيًا كان، وكأنه يتفنن للوجود. فاقلق هو أساس المسار الوجودي للإنسان لدى " **هيدجر**" على أن معنى القلق عنده ليس له موضوع محدد وبالتالي فهو يكشف عن العدم أكثر مما يكشف عن الوجود، إذ أن القلق يكشف لنا عن الوجود لأنه يتيح لنا أن نعرف العدم، ونحن في القلق نرى هوة العدم، وقد فتحت فاها لابتلاع وجودنا كله، ونشعر أن الأشياء جميعا تنزلق وتفر من أيدينا، وكأنها تسكب في ثغرة غير منظورة.[3]

فالوجوديين يلزمون علاقة وطيدة ومتينة بين القلق الوجودي، ووعي الإنسان حيث قالت "**بوبوفك**" أن القلق الوجودي هو الهم الحاصل نتيجة كثرة التفكير. ومن هنا نفهم بأن القلق الوجودي هو إعطاء المعنى للحياة، وهذا المعنى للحياة لا يلغي القلق الوجودي، بل يوقفه عند لا حدود معينة، ولا يمكن اجتنابه. فالإنسان عندما يعجز عن إيجاد معنى لحياته، فسوف يقع في فريسة لقلقه الوجودي.[4]

فالوجودية ترى القلق الوجودي أنه وجه من أوجه الوجود الإنساني لا يمكن تفاديه.

---

[1] – ينظر: الدراجي أروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى، من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ص،215-216.

[2] – ينظر: وحيدة حسين علي، خديجة حسين سلمان: رسالة ماجستير، القلق الوجودي وعلاقته بالإتزان الإنفعالي لدى طلبة المرحلة الإعدادية، ص 218.

[3] – ريجيس جوليفيه: المرجع السابق، ص 4.

[4] – ينظر: وحيدة حسين علي، خديجة حسين: المرجع السابق، ص 219.

الفصـــل الثـــاني

القلق الوجودي والشخصية الروائية: بحث في التجليات والعلل والنتائج

المبحث الأول: أسباب القلق الوجودي

أولا: الأسباب الوراثية (الجينية)

ثانيا: الأسباب الإجتماعية

ثالثا: الأسباب الميتافيزيقية (الروحانية)

المبحث الثاني: الشخصية القلقة والشخصية الشكاكة

أولا: مفهوم الشخصية القلقة وسماتها

ثانيا: مفهوم الشخصية الشكاكة وسماتها

المبحث الثالث: أبرز النظريات المفسرة للقلق الوجودي

أولا: من وجهة نظر التحليل النفسي

ثانيا: القلق عند أصحاب التوجه الانساني

ثالثا: القلق عند أصحاب الفلسفة الوجودية

المبحث الأول: أسباب القلق الوجودي

كتبت الروائية لنا عبد الرحمان بضمير المتكلم، حيث تحاول أن تعكس ما يدور بداخلها، وبمحيطها من شخوص وأماكن، وممارسات، وتحقق ذلك من خلال الوصف الدقيق لأحداث الرواية. فالروائية تأثرت ببيئتها، ما جعلها تبدع، وهذا نجده في ثلاثية " **هيبوليت تين**"، والتي جاء فيها بأن البيئة تساهم في تشكيل الذات المبدعة، وفي صياغة المادة أو العالم الذي خلق من العمل الأدبي. فهذا الخوف والقلق جسدته في روايتنا في صورة فنية خيالية للبطلة " **ندى**". فالمحرك الأساسي للرواية هو موضوع القلق إذ يُعد من العوامل الرئيسية المؤثرة في الشخصية الإنسانية، ونجد أن النظريات في علم النفس قد اختلفت في تحديد الأسباب المؤدية للقلق، لأن كل نظرية قامت بدراسته من وجهة نظر معينة ومختلفة عن النظرية الأخرى، ويمكن اختصار أسباب القلق في العوامل التالية:

أولا- الأسباب الوراثية (الجينية):

المقصود بالوراثة هو كل ما ينقل الفرد عن والديه، عن طريق خصائص **الكروموزومات (Chromosom)** والجينات، وذلك من اللحظة التي تتم عملية تلقيح الخلية الأنثوية بالخلية الكرية، وتشترك الولادات في نقل الصفات الوراثية ذلك أنه صفة متوارثة لابد أن تعود أصلا إلى إحدى هذه الجينات أو مجموعة منها.[1]

ومن خلال روايتنا التي بين أيدينا " **رواية تلامس**" ظهر ذلك على البطلة حيث بدأت الرواية بمخاوف " **ندى**" أن تصبح إنسانة مجنونة كعمتها وخوفها الشديد الذي ليس له مبررات ذلك القلق الذي ينتابها بين الفنية والأخرى، وحجتنا في ذلك أثناء مجالستها لجدتها، عندما كانت تحكي لها عن أوجه الشبه بينها وبين عمتها المريضة، فتقول أنها تشبهها، ثم تحدق البطلة في وجه جدتها بذلك الخوف والرعب في صمت، ثم تتواصل في المقارنة، ثم تنظر

[1] – حسين عبد المجيد أحمد رشوان: دراسة في علم الاجتماع النفسي، مركز الإسكندرية، مصر، 2006، ص 167.

في وجهها وتقول: «إيه شو بك، عمتك هيدي كانت قمر بصباها، كانت بتشبه مريم فخر الدين، أنت طالعة بتشبهيها، مش المتل بيقول: «خذوا البنات من صدور العمات».[1]

إنطلاقا من هاته المقولة يُدق ناقوس الخطر على حياة الشخصية "**ندى**"، وتبقى إشارات جنون عمتها يلاحقها أينما كانت، فأصبح بالنسبة لها بمثابة الموت البطيء. وظلت تتساءل في نفسها: «بماذا أشبهها أيضًا؟»[2]، «هل ورثت عنها ذات الشيطان؟»[3]، «هل ستكون نهايتي مثلها "مجنونة" لا يزورها أحد؟»[4]

كل هذه التنبؤات برمجت عقل البطلة بأن تكون نهايتها الجنون لا محال.

ما نراه ينعكس سلبًا على صحتها النفسية والجسدية، وحتى العقلية. لكن رغم الإيماءات والشكوك التي تراود الشخصية "**ندى**"، فإنها تحاول إبعاد أو تجاهل تلك الإيحاءات فتقول: «هي كانت أجمل مني بكثير، أنفي الطويل الذي ورثته عن أمي، وبشرتي المائلة إلى الأصفر لا يقارنان بلونها القرنفلي، بعينيها العسليتين، وملامحها الدقيقة».[5]

هنا يتضح لنا أن " ندى" تحاول أن تتخلص من هذا الشعور الذي يرافقها كخيالها، واستحوذ على عقلها، وهذا ما تطرق إليه "**وليام جيمس**" ويسمى" بالإنتباه"؛ وهو «استحواذ فكرة واحدة على العقل، في خضم احتمالات لا متناهية، أو سلسلة من الأفكار التي تتزاحم في وقت واحد»[6]، فتجاهلها لتلك الإيماءات يسمى "**الإنسحاب**"، ويعني ذلك الإنسحاب من شيء ما للتعامل بفعالية مع أشياء أخرى.

فتحاول تهدئة نفسها بأن حالة عمتها مختلفة، وأنها مرضت لأسباب مجهولة، وأنه من غير المحتمل أن تتكرر ذات الأسباب في حياتها، وذاك الكابوس الذي ترى نفسها فيه

---

[1] – لنا عبد الرحمن: تلامس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2008، ص 6.

[2] – المصدر نفسه، ص: ن.

[3] – المصدر نفسه، ص: ن.

[4] – المصدر نفسه، ص: ن.

[5] – المصدر نفسه، ص 6.

[6] – 4 طرق لتدريب عقلك على التوقف عن القلق، شبكة الجزيرة الإعلامية، 29 أبريل 2020.

تتحول إلى عمتها ثم تقول: «أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وأهمس في سري أن كل ما رأيته ليس إلا كابوسًا عابرًا».[1]

لكن عقل البطلة يعود إلى نفس النقطة، ويدور حول دائرة الجنون الوراثي، فتقوول: «مخيلتي تعيد تركيب الحلم مع إضافات مختلفة، وهواجس مرعبة عن جينات تخزن في خلاياي المرض نفسه».[2] فهذا المقطع يوضح لنا بأن البطلة لا تزال متأثرة بمرض عمتها، فتقول في نفس السياق: «ذات مرة قرأت عبارة تقول: «كي تكون طبيعيًا لا بد أن تخلو عائلتك من مجنون ومجرم».[3]

قد تطور الشعور بالقلق في الرواية حتى وصل إلى درجة الإضطراب النفسي، وأثر على شخصية البطلة، ويتبين ذلك في قولها: «أظن أن جينات الجنون الموجودة عند عمتي، تسكن في داخلي بنسبة من النسب».[4] وتقول كذلك: «قريبتنا الممرضة هنادي التي تعمل في (دار العجزة) كانت تقول إن عمتي ولدت وهي تحمل المرض بين خلاياها، وظهر أول مرة وهي في الخامسة عشر من عمرها، لأن أمها وأبيها أولاد عم، تهمس لي أن هذا المرض منتشر في عائلتنا وأنه يصيب النساء فقط، وأن ابنة عم لأبي تعيش في سوريا ماتت من المرض ذاته منذ عشرين عامًا».[5] ومن هنا يتبين أن البطلة "**ندى**" تقنع نفسها بأن مصيرها يكون مثل مصير عمتها، وهذا الإقتناع أطلق عليه علماء النفس إسم "**التوهم المرضي**" فصاحبه: «ذو شخصية متمركزة حول ذاتها، ويفضل العزلة، ولديه نوع من القلق غير محدد المصدر، وهو ما يزعجه، ويحيل من بدنه بؤرة لاهتماماته ومشاعره وقلقه، لأن هذه الإرادة تتيح له أن يجسد مصدر القلق».[6]

---

[1] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 100.

[2] – المصدر نفسه، ص 99.

[3] – المصدر نفسه، ص 128.

[4] – المصدر نفسه، ص: ن.

[5] – المصدر نفسه، ص 10.

[6] – علاء الدين كفافي: الصحة النفسية، دار صخر، ط 3، 1990، ص 45.

وفي هذا السياق فقد أشار" **الفقي**" بأن: «التفكير بالمرض نفسه، وحتى أمراض أخرى، واستمرار تمارض الإنسان في تكرار هذا التمارض، فسيصبح حقيقة ويأتي المرض».[1]

وهذا ما يسمى بقانون الجذب عند الفقي.

ونلاحظ من خلال ما سبق أن العوامل الوراثية تدخل في تهيئة الفرد للقلق بشكل نسبي. لكن ذلك لم يمنع من أن العوامل الاجتماعية لها دور في ذلك.

ثانيا- الأسباب الاجتماعية:

فقد بنى السلوكيون نظريتهم على فرضية أن معظم السلوك مكتسب ومتعلم، وبالتالي فإن الفرد يتعلم السلوك السوي المنظم، والسلوك الفوضوي من البيئة التي يعيش فيها، من خلال مشاهدة الأنموذج الذي يتمثل في الوالدين، أو من الذين يقومون برعاية الفرد، أو حتى من البيئة الخارجية.

فالروائية "**لنا عبد الرحمن**" جسدت لنا هذه الحالة من خلال البطلة "**ندى**" التي تعيش هذه الحالة المتمثلة في عدم شعورها بالإرتياح والقلق، من خلال معايشتها لمعاناة عمتها المريضة منذ صغرها وبداية تشكل وعيها الأول حيث كانت تذهب لزيارتها مع جدتها إلى المستشفى فكانت تصف مأوى العجزة، بقولها: «"مأوى العجزة" الذي يتكون من عدة طوابق، وينقسم ما بين مصح للأمراض العقلية للنساء والرجال، وبين نزل لإيواء المسنين. إنه المكان الذي وضعت قدميّ الصغيرتين فيه أول مرة وأنا طفلة في الخامسة».[2]

ومن هنا يتبين بأن ذاكرة "**ندى**" على استعداد تام لاكتساب وترسيخ أحداث الطفولة، فهي في مرحلة التعلم والإكتساب من المحيط الخارجي.

وهذا ما ركز عليه الأوائل من السلوكيون الراديكاليون أمثال "**واطسون**" على أن «عمليات التعلم تتم عن طريق اقتران بين المثير الشرطي، والمثير الطبيعي، وبالتالي يستجيب الفرد

[1] – إبراهيم الفقي: قوة التفكير، 2007، ص 210.

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 7.

لظاهرة الخوف أو القلق، ويصبح الخوف من المؤثر الشرطي دافعًا مكتسبًا، وعن طريق مبدأ التعميم في تعلم الخوف أو القلق، يلاحظ أن المثيرات الشبيهة لتلك التي تعلم الكائن الحي أن يخاف أو يقلق منها والأكثر إثارة للقلق أو الخوف».[1]

وتأكيدًا لما سبق وفي نفس السياق تقول: «هؤلاء كن رفيقات عمتي في مرضها، رسخن في ذكرياتي، رغم عبوري من الطفولة إلى المراهقة والشباب، إلا أنني ما زلت أذكر ملامح وجوههن المريضة وأجسادهن المهدودة من جلسات الكهرباء».[2]

يبدو أن ذاكرة "**ندى**" حملت ذكريات أليمة، ظلت تلاحقها عبر مراحل عمرها، فكلما بلغت مرحلة من المراحل، كلما ارتفع حجم التهديد، وبالتالي ينتج قلقها رغم اتساع دائرة إمكاناتها فتقول: «دراستي "علم النفس" لم تحررني من هذه "الفوبيا" المرضية، ظننت أني سأتخلص من كوابيسي، ومن ذكرياتي، سيصير ترددي على "المأوى" أمرًا عاديًا، أقوم به كلما طلب مني القيام ببحث ما، لكن الأمور لم تسر على هذا الشكل، وظللت أصاب بالرعب كلما صعدت إلى السيارة وقلت للسائق: "المدينة الرياضية، نزلة مستشفى العجزة"».[3]

فمن وجهة نظر "**فرويد**" أن القلق يكون مكتسبًا كذلك بحكم مكاسب الذات وتحقيق الإمكانات فيقول: «عندما يتحرك الأفراد في اتجاه توسعة آفاق حياتهم، يتنامى شعورهم بوحدتهم، وانفصالهم وقلقهم، وكلما زادت استثماراتهم في الحياة، أصبح لديهم المزيد مما يمكن أن يفقدوه».[4]

---

[1] – أحمد منصور: الرسالة لعينة المطلقات وغير المطلقات، منتدى استشارات نفسية، ج3، الإثنين 12 أفريل 2010، psychologu, Alafdal.net ،pn10:27

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 8.

[3] – المصدر نفسه، ص 5.

[4] – شاهين إيمان فوزي سعيد: المرجع السابق، ص 44.

يبدو أن جنون "**رجاء**" لم يكن منذ بداية حياتها، حيث تقول البطلة: «هي أيضًا لم تكن مجنونة منذ البداية، ولم تكن وحيدة، كل الأشياء تصاعدت رويدًا رويدًا حتى وصلت لهذه النتيجة».[1] فالبطلة هنا تقارن حياتها بحياة عمتها، وتشير بأن الجنون ليس وراثي، وإنما اجتماعي، جراء ظروف غامضة اختلفت في الكشف عن حقيقة كل المحيطين بها، السيدة ماجدة (أم ندى)، وجدتها، وعمتها المريضة في لحظات صحوها، وابن عمها حسان وما سمعه من والديه.

تقول جدتي بأن عمتي مرضت بعد موت خطيبها خلال الإجتياح الإسرائيلي ببيروت، وهه الصدمة قادتها للجنون.

وتقسم أمي أنها منذ معرفتها وزواجها بأبي وعمتي مريضة منذ طفولتها كما أخبرها أبي.

أما جارتنا "**أم فؤاد**" تقول أنّ عمتي لديها مس جني منذ سن العشرين سنة.

فمن خلال كل الحكايات تبين بأن جنون "**رجاء**" بقي مجهول الأسباب، وهذا ما زاد من قلق البطلة وخوفها، فتقول: «كلما سمعت مصادر الحكاية المختلفة أصبت بهلع أكبر وتخيلت نهايتي».[2] وهذا ما عبر عنه " **فرويد**" بأن الصراعات الداخلية اللاشعورية تتمثل في قوى داخلية تتصارع مع بعضها البعض، فتؤدي إلى الإحساس بالخطر والتهديد، وعدم القدرة على مواجهة القلق.

لعل ظهور استجابات البطلة للخوف والقلق من أكثر الدعائم التي ساعدتها على الشعور بالوحدة، حيث لم تبق سوى هي وعمتها، وهذا بعد موت أبيها وجدتها التي سعت طوال حياتها أن تجنبهم جميعا هذا القلق وتحمل المسؤولية، فضاقت عليهما الدائرة، فتقول: «لا يمكنها أن تعي أن الدائرة ضاقت عليّ وعلى عمتي وبقينا وحدنا».[3] ترى ما الذي دفع بندى إلى تحمل كل هذه الأعباء؟

---

[1] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 6.

[2] – المصدر نفسه، ص 11.

[3] – المصدر نفسه، ص 12.

إنه التشتت الأسري الذي عاشته البطلة، بما في ذلك الأوضاع غير المستقرة في بلدها، حيث تعيش ندى حالة من التوحد النابع من عدم وجود تقارب مكاني، وحضور أسري، كون أمها كانت تعيش بعيدة عنها منذ طلاقها من أبيها، أما الأب فكان حضوره جسديًا فقط، وغيابه روحيًا عنها، «في لحظات وحدتي، في أيام العيد، لطالما تمنيت لو كانت أمي معي، لو علاقتي بها أكثر عمقًا من زياراتها الصيفية التي تحضر فيها ثيابًا وأحذية... لو كانت علاقتي بها أكثر عمقًا من مكالمات هاتفية نصف أسبوعية... لما صرنا أنا وأبي وحدنا في البيت، وقبل رحيله هو أيضًا، اكتفت كم كنا غريبين عن بعضنا من حواراتنا المقتضبة، من تضارب مواعيدنا، فلا لقاء بيننا».[1]

«تظهر استجابات القلق في الحياة العامة: من المشاكل العائلية، والمثالية، والمهنية...، ومن المسؤوليات الضخمة التي تفوق تحمل الفرد، أو من زوال المشجعات والإسناد السابق الذي تعود عليه».[2]

نلاحظ أن الروائية أثبتت مهارتها في الكشف عن العوامل الاجتماعية التي أحيطت بالبطلة ندى واستعدادها للشعور بالتهديد الداخلي والخارجي، والذي يؤدي إلى التوتر النفسي والشعور بالخوف.

لكن ورغم كل ذلك لم تقتصر أسباب القلق الوجودي على الأسباب الوراثية والإجتماعية، بل هناك أسباب أخرى تمثلت في الأسباب الميتافيزيقية، والتي من شأنها التأثير البالغ في شخصية البطلة، ويوجد في الرواية ما يدعم ذلك.

ثالثا- الأسباب الميتافيزيقية (الروحانية):

قد تشترك الأعراض الروحانية في بعض الأحيان مع أعراض الأمراض النفسية والعضوية، فقال صاحب الكتاب المنظوم " **فتح الحق المبين**": «وقد تشترك أعراض المس،

[1] – المصدر السابق، ص 106.

[2] – فخري الدباغ: المرجع السابق، ص 96.

السحر، العين، ببعض الحالات في الأمراض النفسية أو العضوية». فمثلا من أعراض المس القلق، فهل كل شخص قلق ممسوس؟ فالحالة النفسية تسبب القلق في كثير من الأحيان، والإعراض عن الرحمان سبب القلق[1]، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ, مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ, يَوْمَ الْقِيـٰمَةِ أَعْمَىٰ**﴾.[2]

فهل يعترف الطب النفسي بالروحانيات؟ وهل الأعراض الروحية موجودة علميًا؟ وإلى أيّ مدى يمكن أن يعتبر الإنسان نفسه مريضًا نفسيًا وروحيًا في آن واحد؟

وانطلاقًا من موضوع بحثنا، ومن الرواية التي نحن بصدد دراستها، سوف نحاول تعريف القلق كما جاء في معجم علم النفس والتحليل النفسي، والتي سمي بـ: «**حصر**: قبل إيضاح دلالة المصطلح نحب أن نشير إلى أن ترجمته بحصر كانت ترجمة موفقة من الأستاذ الدكتور "**أحمد عزت راجح**" مؤتنسا بتعبير القرآن ﴿**حُصِرَتْ صُدُورُهُمْ**﴾[3] ما يؤكد قدرة العربية على تحقيق ما أخفقت فيه الترجمات الفرنسية والإنجليزية، ومن هنا أثرنا كلمة **حصر** عن قلق فالأمر في المصطلح يتجاوز ذلك الخوف والإحساس المألوف بالقلق بل هو انغمار نتيجة الإثارة أو حالة من الهول في بعض الأحيان بقدر ما هو إشارة إنذار».[4]

فمن العوامل التي دفعت بالبطلة إلى قلقها وخوفها المستمر هو رؤيتها للكوابيس فتقول: «كوابيسي عنها لا تنتهي، ثم الأشباح... الأشباح التي تأتي ليلًا لتهز سريري وتمضي، تتركني أحدق في فراغ غرفة ملبدة بالضباب ولون رمادي كثيف يشبه البخار المتصاعد من قدر هائل الحجم، وخيوط لا مرئية تتمازج ألوانها بين البترولي، الأسود، والكحلي القاتم،

[1] – أبو البراء أسامة بن ياسين المعاني: منهج الشرع في علاج المس والصرع، دار المعالي، عمان، ط 1، 2000، ص 41.

[2] – سورة طه – (الآية–124).

[3] – سورة النساء – (الآية–90).

[4] – فرج عبد القادر طه، واخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة، بيروت، ط 1، ص 178.

ألوان تشعرني بالخوف الشديد في حلقي، كما لو أنها وجدت في هذا الكون لإفزاعي فقط».[1]

ثم تقول: «استيقظ في الليل مرعوبة بسبب كابوس يتكرر».[2]

فرؤية الأشباح في كثير من الأحيان يوحي في الجانب الروحاني بأن الإنسان لديه مس جني أو أرواح خبيثة تمتلك جسده، فمن بين أعراض الممسوس: «الأحلام المزعجة والمتكررة، والفزع الشديد بطريقة ملفتة للنظر».[3]

وما زاد من شعور "**ندى**" بالخوف الشديد هو حضور الجنية في حلمها، حيث تقول البطلة: «حضور الجنية المرعبة ذات الشعر الأحمر التي تزورني بين حين وآخر، تقف مقهقهة قرب سريري تهزه كثيراً ثم تمضي بعد أن تتأكد أنني استيقظت مفزوعة».[4] ثم يزداد هلع "**ندى**" عندما يقال لها أنها ممسوسة فتبين ذلك في قولها: «فيما شخص آخر قال لي أنني ممسوسة وينبغي علي إبعاد هذا المس عن طريق زيارة أحد الشيوخ».[5]

اتفق الكثيرون مع هذا الرأي، في حين علق آخرون بأن عليها استشارة طبيب نفسي لأنها تعاني من اضطرابات نفسية.

لكن الكوابيس والحالات التي تنتاب "**ندى**" جعلها تدخل في صراع وتقف في حيرة من أمرها وما يحدث لها، فتطرح تساؤلها: «هل ورثت عنها ذات الشيطان؟ الشيطان الذي يلهب لي جسدي كلما أيقظني ليلًا».[6]

حيث تقول جارتهم "**أم فؤاد**" في نفس السياق: «أن عمتي ممسوسة منذ صارت في العشرين، وإن الجني الذي تلبسها لا يتركها تهنأ بحياتها، وإلا لماذا تمر أوقات تبدو فيها طبيعية تمامًا، ولماذا يتغير صوتها، ويخشن عندما تأتيها الحالة».[7]

ودليل هذا هو قول الشيخ "**أبو بكر الجزائري**" تحت عنوان "**هل الجن يؤذون الناس**": «إن أذى الجن للإنس ثابت لا ينكر، حيث ثبت ذلك بالدليل السمعي، والدليل الحسي، والعقل لا

---

[1] – المرجع السابق، ص 5.

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص: ن.

[3] – أبو البراء: المرجع السابق، ص 47.

[4] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 27.

[5] – المصدر نفسه، ص 28.

[6] – المصدر نفسه، ص 6.

[7] – المصدر نفسه، ص 10.

يحيله، بل يجيزه ويقره، ولولا المعقبات من الملائكة التي أناط **الله تعالى** بها حفظ الإنسان لما نجا من الجن والشياطين أحد».[1]

صار عمر "**ندى**" أربعة وعشرون عامًا، لكنها مازالت لم تتحصل على وظيفة فتقول: «لم أجد الوظيفة المناسبة، كما لم أنجح في العمل كمدرسة للأطفال في مدرسة ابتدائية، رفضت أيضًا عرض وظيفة حكومية مملة في مكتب البريد، تبرع زميل أبي في مساعدتي للحصول عليها. كما أنه ليس لدي ولع يدفعني لإعداد رسالة ماجستير أعقبها بالدكتوراه لأصير أستاذة جامعية».[2] وهذا يدل على أنها لم تتوفق في العمل وليس لها قابلية لإكمال دراستها الجامعية، وهذا من أعراض المس الشيطاني، حيث يقوم بتعطيل الإنسان عن عمله ودراسته، وحتى أمور أخرى، ويعبر عنها بـ: «الصدود عن المذاكرة أو الدراسة أو العمل أو البيت أو الزوجة».[3]

وهناك أعراض أخرى لوجود أرواح خبيثة تسكن جسد الإنس، استطاعت الروائية تجسيدها في البطلة "**ندى**" وتتمثل في:

- الحزن والإكتئاب والإختناق، تقول "**ندى**": «غمرني إحساس بالاختناق عند حلقي...».[4]
- الهلع والفزع والخوف الشديد، فتقول: «هلع يمسك أنفاسي».[5]
- سماع أصوات ورؤية أشباح تلمح من أمام الشخص بسرعة فائقة، أو رؤية خيالات، ورؤية الأحلام المزعجة والكلاب والقطط، تقول: «رأيت حلما وكأنني في مؤتمر من الفئران متفاوتة الأحجام، بلونين الأبيض والأسود، تغزو غرفتي وأصبت بالذعر والهلع...».[6]

---

[1] – أبو البراء: المرجع السابق، ص 34.

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 13.

[3] – أبو البراء: المرجع السابق، ص: ن.

[4] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 21.

[5] – المصدر نفسه، ص 58.

[6] – المصدر نفسه، ص 14.

- الأرق والقلق والتوتر، تقول: «إرهاق سكن عضلاتي».[1]

والدليل من الكتاب على أن الجن يدخلون الإنس، يتمثل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾.[2] ومن السنة، قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**﴾.[3]

وقد ينكر الطبيب النفسي المرض الروحي، ويدرجه ضمن الإعتلالات النفسية التي تمر بالإنسان، وقد ينكر الراقي حقيقة المرض العضوي لحالة ما، ويرى أنها مرضًا روحيًا، فلا يرى من داع لدخول المستشفى، والأجدر بكل طبيب مهما كان تخصصه ألا ينكر أحدًا اجتمعت عليه الأمم قديما وحديثا، ووجب الجمع الكبير من المعتدلين على أمر لا يختلف عليه اثنان.

ومن خلال ما سبق وباعتمادنا على الإستدلال بالأمثلة الموجودة في الرواية، نخلص إلى أن هذه الأسباب تبقى مجرد احتمالات، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال الإثبات أو التأكيد بأن سبب القلق التي تعاني منه البطلة "**ندى**" هو السبب الروحاني.

[1] – المصدر السابق، ص 99.

[2] – سورة البقرة –(الأية–275).

[3] – أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، باب الظن، رقم 622، القاهرة، 1375، ص 330.

المبحث الثاني: الشخصية القلقة والشخصية الشكاكة

أولا- الشخصية القلقة:

تعد الشخصية القلقة من أكثر أنواع الشخصيات انتشارًا في الأوساط الإكلينيكية، لكن تختلف درجة القلق عند الفرد، فقد تكون متطرفة عند البعض، ومعتدلة عند البعض الآخر. فما هي الشخصية القلقة؟ وفيما تتمثل سماتها؟ وهل تنطبق هذه الشخصية على البطلة " **ندى**"؟

تسمى هذه الشخصية كذلك بالشخصية الوسواسة، وهي الشخصية الحساسة المدققة، وحالة صاحبها النفسية غير مستقرة، خائفة من الخطأ، مثالية، تحتاط لكل شيء، لأنها تسعى إلى التميز، وحتى لو تميزت هي في حالة تردد وخوف مستمر، لأن إشكاليتها هو الخوف من القلق، فصاحب هذه الشخصية لديه استعداد زائد للإستجابة لمثيرات ومسببات القلق، تجعله يتجاوز الحدود المعقولة، ما يؤدي به إلى اضطرابات نفسية[1]، فالكاتبة رسمت هذه المظاهر من خلال الشخصية " **ندى**"، فكانت تشعر دائمًا بعدم الإرتياح، وتوقع الأسوأ، وخوفها من النتائج، وهذا نجده في الرواية عند سماعها لحكايات سبب جنون عمتها، فكانت تسمعها من كل الأقارب، فتقول: «كلما سمعت مصادر الحكاية المختلفة أصبت بهلع أكبر وتخيلت نهايتي، ماذا لو كان المرض وراثيًا حقًا وسيظهر علي بعد حين؟».[2]

وهذا ما أشار إليه علماء النفس فيقولون بأن من سمات هذه الشخصية «هي شعور الفرد بعدم الإرتياح، وتوقع المواقف الخطيرة والأسوء، وقد يكون هذا الخطر غير واضح ومحدد

[1] – ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة: سيكولوجيا الشخصية، دار الإعصار العلمي، عمان، ط 1، 2015، ص 67.

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 11.

وفي نفس الوقت ربما يكون واضح وله أسباب، لكن تكون له ردود أفعال شديدة ومعبرة عن القلق لدرجة التعايش معه، ويحظى بالجزء الأكبر من حياته».[1]

فرغم الضغوطات النفسية والقلق الرهيب الذي تعيشه "**ندى**" ومواقفها غير العادية في حياتها اليومية، لكنها تتجنب كل ما يشل علاقتها بغيرها مهما كان الموقف، وهذه من صفات الشخص القلق، وأبرز مثال على ذلك عندما قالت لأمها بأنها ستزور عمتها، فرفعت يديها في وجهها، تضرب كفا بكف قائلة: «شو هيدا... ليك ملا حكي.. إنت رح تجنني، بدك تبقي هون علشان واحدة مجنونة».[2] فتصد وتحيد "**ندى**" هذا القلق، تقول: «تزعجني عبارات أمي، لا أستطيع مواجهتها. لم أقدر على القول لها إنني لا أستطيع التخلي عن عمتي، بعد وفاة جدتي، وموت أبي».[3]

صحيح أنه لا يجب على الأبناء مواجهة والديهم، والدخول معهم في نقاشات عنيفة، لكن هذا لا يعني عدم مشاركتهم ما يختلج صدورهم والتعبير عن مشاعرهم، وهذا ما يعيق الأبناء على التوافق النفسي وتقدير الذات وعجزهم عند إبداء رأيهم أو حتى اتخاذ قراراتهم ما يشعرهم بالدونية وأنهم غير كفء إجتماعيًا، وفي هذا السياق، تقول "**ندى**": «ليس لدي أهداف محددة في الحياة أناضل من أجلها. وليس عندي غايات أخطط لتنفيذها، لا أحلم بمهنة معينة، ولا أسعى وراء حلم بعيد»[4]، فهي عاجزة تمامًا على تحقيق ذاتها الذي يرتبط بتقرير مصيرها، حيث تقول: «دراستي "علم النفس" اخترتها لأن هند اختارتها ولأنني كنت أحب البقاء أنا وهند معًا. خطوبتي من كامل تمت تحت إلحاح جدتي...ثم أنا... أين كنت أنا وسط هذه الخيارات المصيرية».[5] فعلم النفس لديه ما يقول في هذه الشخصية «بأن الفرد ذو الشخصية

---

[1] – ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة: المرجع السابق، ص 69.

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 11.

[3] – المصدر نفسه، ص: ن.

[4] – المصدر نفسه، ص 47.

[5] – المصدر نفسه، ص: ن.

القلقة يخشى القيام بأي عمل أو فعالية تتطلب تحمل المسؤولية، خوفا من العواقب المرتبة عليها أو المتوقعة».[1]

الشيء الذي زاد من هلع البطلة وقلقها هو كثرة التوقعات، ووضع احتمالات لكل شيء، وعند محاكاتها إحسان إبن عمها تقول له: «بلكي أنا مرضت مثلًا ما بتجي بتزورني».[2] «لو مرضت أنا من سيأتي لزيارتي؟»[3]، «لو أصابني الجنون، لو صرت مثل عمتي من سيهتم لأمري؟ من سيعتني بي؟».[4] فكل تلك التوقعات زادت من تعاسة "**ندى**" .

إنطلاقًا مما قدمناه سابقًا، وبناءًا على ما تحتويه الرواية، نخلص بأن البطلة "**ندى**" ذو شخصية قلقة، حيث تتوفر فيها سمات هذه الشخصية والتي كانت سببها الظروف التي مرت بها منذ طفولتها، ما أدى إلى اضطراب نفسيتها.

ثانيا- الشخصية الشكاكة (المرتابة):

قد يعاني الكثير من أفراد المجتمع مشكلة اهتزاز العلاقات بين الآخرين، وأحيانا تعرض الحياة الأسرية إلى التفكك والانفصال، وكذلك العلاقات العامة بين الأفراد، وقد يحدث كل هذا بسبب اضطراب النفسية، وهذا حسب شخصية كل فرد، وحسب الظروف العامة والخاصة به.

ومن هنا سوف نتطرق إلى نوع من أنواع الشخصيات، ألا وهي الشخصية الشكاكة. فهذه الأخيرة تسمى كذلك بالمرتابة «وهي الشخصية المبالغة، والإفراط في إساءة الظن والشك في الآخرين والحذر منهم بدون أسباب، أو مع وجودها، لكن بدرجات متفاوتة، فهناك من يكون لديهم الشك بصورة خفيفة، وهذا أمر طبيعي، وهناك من يكون لديهم بدرجة مرتفعة، تحتاج

[1] – ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة: المرجع السابق، ص: ن.

[2] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 87.

[3] – المصدر نفسه، ص 100.

[4] – المصدر نفسه، ص: ن.

للتشخيص، ما يؤدي إلى اضطرابات في الشخصية، وهو اضطراب الشك والريبة وهنا يكون الخطر».[1]

إنطلاقا من معطياتنا والرواية التي بين أيدينا، نسعى لاكتشاف هذه الشخصية وسماتها في البطلة "**ندى**".

فمن خلال رحلة بحثنا نلاحظ بأن الشخصية "**ندى**" تعيش في دائرة من الضغوطات النفسية بمختلف أشكالها، فكانت الكاتبة لها القدرة أن تجسد سمات هذه الشخصية، حيث تشعر البطلة بمخاوف وشكوك تعيق مسار حياتها حتى لو كانت أحداث بسيطة، وتتمثل بعض سمات هذه الشخصية بناءًا على ما جاء في الرواية فيما يلي:

- " التردد في اتخاذ القرارات بسبب كثرة التفكير بالأولويات
- الإفتقار إلى خاصية التعبير عن العواطف
- التشاؤم دائما حول المستقبل، وعدم إدراكهم بأن هذا السلوك هو المسؤول عن الصعوبات التي يواجهونها" [2]
- عديم الثقة بالآخرين حتى المقربين لديه، لذا فعلاقاته الاجتماعية محدودة
- بناء قراراته على أدلة ضعيفة إن لم تكن وهمية.[3]

وهناك سمات أخرى لم نذكرها كونها لا تتطابق وشخصية "**ندى**".

فرؤية الكوابيس للبطلة "**ندى**" أثّر على شخصيتها، ودفعها للتشاؤم، كون هذا الأخير من سمات الشخصية الشكاكة، وهذا ما لاحظناه في البطلة "**ندى**"، فعندما انسكب الشاي على الأرض أصيبت بحروق طفيفة، فانزعجت منها تقول: «غمرني إحساس بالتشاؤم وأنا أكنس

[1] – عبد الكريم الصالح: تحليل الشخصيات وفن التعامل معها، ص 09.

[2] – مصطفى شكيب: الأنواع العشرة لإضطرابات الشخصية، 2007، ص 31.

[3] – إبراهيم الفقي: حلل شخصيتك بنفسك، منتدى مجلة الإبتسامة، دار الحياة، ص 09.

الأرض وأجمع ما تناثر من قطع الزجاج الصغيرة.»[1] «أعرف أنني لن أتمكن من الفرار ربما لأن ما يربطني بالمكان كان أكثر قوة وتجذرًا مما يجمعني بالأشخاص»[2] «هل أنتظر أن يطل الحب ثانية أم أنني كما أفعل غالبًا سأترك الحياة تسير وفق ركودها المعتاد، وعالمي المنحسرة عن الواقع، المفتوحة على الإفتراض.»[3]

فكل ما يحصل لـ "**ندى**" يجعلها متشائمة بدون سبب مقنع، وهذا التشاؤم بالنسبة لها يشير إلى نقطة واحدة وهي الخوف من المستقبل، واحتمالية جنونها كعمتها "**رجاء**"، فدائما تظن بأن الحياة تهددها وتلاحقها. يزداد قلق "**ندى**" وفي نفس السياق تقول: «يزداد هلعي وأنا أسمع نصيحة اللجوء إلى طبيب نفسي... أتجاهل المرسل ولا أعلق على رسالته».[4]

ألهذا الحد التشاؤم زعزع نفسيتها؟ جعلها تشعر بأن اللجوء إلى الطبيب النفسي أمر مرعب، مما أدى إلى تجاهل تلك الرسائل، فهذا كله تراه بمنظور واحد وهو أن مصيرها الجنون، فالتشاؤم له تفسير من الناحية الدينية ويسمى "**بالتطير**"، «وهو التشاؤم بمرئي أو مسموع فقال "**ابن الأثير**": وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الظباء والطير وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفعٍ ولا دفع ضررٍ».[5]

وهذه الشكوك أظهرت سمة أخرى من سمات الشخصية الشكاكة، وهو التردد في اتخاذ قراراتها ما كان جليا في قولها «كل التردد والإحتمالات المفتوحة على شيء وعلى لا شيء

---

[1] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 15.

[2] – المصدر نفسه، ص: ن.

[3] – المصدر نفسه، ص: ن.

[4] – المصدر نفسه، ص 28.

[5] – أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد الخامس عشر، باب الطاء، ص 2737.

انتهت حتمًا... انتهت لأنني لم أستطع حسم أمري في اختيار أيًّا منها، فكان أن اخترت الوحدة».[1]

فالبطلة "**ندى**" بَنَت قراراتها على أدلة ضعيفة ووهمية، حين أنهت علاقتها بمحمد، والتي كانت تربطهما علاقة حب قوية، وهي على يقين بإنهائها، كما قالت: «كنت موقنة أنني لن أتزوجه، وأن علاقتي به لن تتعدى أكثر من شغف متهور»[2] وتضيف أيضًا: «هجرت محمد وبلا أي تبرير أو عذر، وانقطعت عن زياراته وعن الرد عن اتصالاته».[3]

فرغم علاقتها الوطيدة بالشخصية محمد الإفريقي، لم تقبل بعرضه لها وهو الزواج، وكانت تدرك أن الظروف القاهرة هي التي حرمنها من العيش كأقرانها وصديقاتها وكل من حولها. فهذا القلق والخوف من الجنون ابعدها عن العالم الواقعي، وكل هذا جراء فقدانها للثقة بالعالم الخارجي وحتى بنفسها، ما دفع بها للتموقع في دائرة مظلمة لم تستطع الخروج منها، ففضلت الوحدة وافتقارها إلى خاصية التعبير عن عواطفها ومشاعرها من خلال قولها: «الوحدة في بيت لا يسكنه سواي، الوحدة في بلد ليس فيه سوى عم لا يذكرني إلا في الأعياد»[4]، «أصدقاء اتضحت حياتهم وصار كل منهم عالمه».[5]

فقساوة الحياة على "**ندى**" رمتها في طريق الوحدة والإستسلام لخيالاتها وشكوكها حول مستقبلها الذي تظن وحتى تؤكد بأن نهايتها الجنون.

فصاحب الشخصية الشكاكة يجد صعوبة في إقامة علاقات دائمة وناجحة مع الآخرين، إلى أن يجد نفسه معزولا عن المجتمع، فيزيد من متاعبه النفسية وشكوكه بنفسه وبمن حوله

---

[1] – لنا عبد الرحمن: المصدر السابق، ص 114.

[2] – المصدر نفسه، ص 115.

[3] – المصدر نفسه، ص 46.

[4] – المصدر نفسه، ص 114.

[5] – المصدر نفسه، ص: ن.

مع زيادة الإنفعالات والتوجس، ما يؤدي به إلى تدهور حالته وتدخل ضمن شخصيات المريض العقلي "**الفصام**" **(Schizophrenia)**

ومن خلال ما سبق تخلص الدارستين بأن اللمسات الفنية للروائية اتضحت من خلال روايتها " **تلامس**"، حيث استطاعت أن ترسم على شخصية البطلة " **ندى**" الشخصيتين القلقة والشكاكة في آن واحد. لكن الشخصية القلقة نالت من البطلة أكثر من الشخصية الشكاكة، فهذه الأخيرة كانت بنسبة قليلة، ومن هنا يظهر القلق الوجودي للبطلة.

المبحث الثالث: النظريات المفسرة للقلق الوجودي

قد يقول قائل: "إن السلوكات والأقوال التي تعكس نفسية قلقة، لا يمكن بالضرورة أن تكون أسبابها جينية لنحكم عليها بأنها نتيجة شخصية قلقة أو سواسية". لأن هذه الأخيرة لا تشكلها العوامل الجينية البحتة، بل إن الجينات تعلن عن ميلاد إنسان بنمط شخصية معين، لكن البيئة والعوامل الاجتماعية هي ما يصقل تلك الشخصية، فيغذي ما أوجدته الفطرة أو يغمره، فلا تبقى منه إلا ترسبات لا تظهر إلا في سياقات بعينها، وفي شكل أنساق تتعالى أحيانا، وتضمحل لتزول أحيانا أخرى، مثل الومضات الضوئية، وذلك في لحظات غفلة العقل الواعي، فاسحا المجال للعقل الباطن، ولا ندل على دلك إلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه" أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

أولا: القلق من وجهة نظر التحليل النفسي

وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم، ترى مدرسة التحليل النفسي أن الصراع النفسي وما يتبعه من قلق وجودي ينشأ من سوء حظ الإنسان، لأن رغبته في إشباع فطرته

ودوافعه البيولوجية تتعارض دائما مع العادات والاتجاهات الاجتماعية، والقيم التي يجب أن تقوم عليها الشخصية، والتي تمثل بدورها الرقيب أو الضمير[1].

ولهذا يرى أوتورانك بأن القلق الوجودي يعود أساسا إلى الانفصالات المختلفة عن الأم، وذلك انطلاقا من صدمة الميلاد ثم الفطام، مرورا بالمدرسة وصولا إلى الزواج، وأن عملية الاصطباغ بالصبغة الفردية عنده تتخذ في العادة صورتين مختلفتين هما: صورة الخوف من الحياة، وصورة الخوف من الموت[2].

وفي الأمثلة الآتية إشارة بسيطة تتضح من خلالها مواطن الانفصال، انفصال البطلة ندى عن أمها طوال مراحل في عمرها. فنجدها تقول عن نفسها

الان أدرك أنه ليس من السهل على طفلة أن تنسى زيارات مأوى العجزة لكن رغم ذلك لم أحس بالحقد على أحد، لم أكره أمي لأنها تركتني وعمري خمسة أعوام، لتربيني جدتي، ولم أكره أبي الذي كان يشرب مساء كل يوم ثلاثة كؤوس من العرق الوطني، أبي الذي أمضى حياته كلها في ثلاثة أمور: "عمله في مكتب البريد، والصمت، وشرب العرق".[3] فانفصالها عن أمها، وتربية جدتها لها، وسكر أبيها، أسباب تتضافر لتخلق ما يسمى بحرمانها العاطفي وما يتبعه من قلق وجودي.

"في طفولتي كنت أستمع لحوارات جدتي وأبكي في العتمة، وفي المدرسة كنت أحس بالضالة حيث تطلب مني المدرسة قدوم ولي أمري. الفتيات يسألني: "وين أمك، ليه ما بتجي عالمدرسة؟" لا أرد، أنطوي داخل شرنقتي".[4] فحرمانها العاطفي وما يتبعه من قلق وجودي

[1] – محمد إبراهيم عسيلة، القلق الوجودي وعلاقته بفقدان الاستمتاع بالحياة لدى طلبة كلية التربية في جامعة الأزهر بغزة، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، ع2، شباط، 2018، ص112.

[2] – ينظر: فاروق السيد عثمان، المصدر السابق، ص21-22.

[3] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص67.

[4] – المصدر نفسه، ص97.

يعود إلى الإهمال والتفريط في المحيط الذي تعيش فيه. فبكاؤها في العتمة يعود إلى رغبتها الشديدة في تكوين علاقة جديدة مع جدتها، أما انطواؤها عن ذاتها، فيعود إلى خوفها من فقدان فرديتها الضيقة.

"لو كانت علاقتي بها غير ذلك، ربما كنت حكيت لها عن محمدو، وعن حنيني له، وخوفي من الارتباط به. لكن المسافة التي تفصلها عني، إيقاع حياتها المختلف. لم يكن ليساعدني أبدا على البوح[1]".

إلا أن انفصالها عن أمها، وما صاحبه من حرمانها العاطفي، قد أثر عليها في مرحلة الزواج، فنخشى أن تدخل في علاقة جدية تتوج بالارتباط بالرجل الإفريقي محمدو.

أما بخصوص عملية اصطباغ البطلة ندى بالصبغة الفردية، فهي تظهر في الرواية بشقيها، الخوف من الحياة، والخوف من الموت.

فخوفها من الحياة هو قلق وجودي من التقدم والاستقلال الفردي لأننا هنا إزاء قلق يظهر بصفة خاصة عند احتمال حدوث أي نشاط ذاتي للفرد، أو عند السعي بإمكانياته الخاصة نحو خلق ابتكارات جديدة، أو العمل على إيجاد تغييرات جديدة في شخصيته، أو رغبته في تكوين علاقات جديدة مع الناس...فالقلق الوجودي في كل هذه الحالات مظهر لخوف الإنسان من الانفصال عن علاقاته السابقة1 ويتضح هذا الخوف في قولها

"الشغف إن لم يكن مدعوما بقوة جارفة لا يمكنه مواجهة الخوف وقتله،

كما لو أنني كنت في كهف تظلله البرودة والرطوبة والعتمة.

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص102.

مضى عليّ أيام عدة منذ غادرت البيت اخر مرة حين خرجت إلى الشارع غمرني ضوء كثيف...لم أستطع رفع وجهي نحو الشمس، عيناي تدمعان، أرغب بالانسحاب والعودة إلى كهفي كلما أحسست بالوحدة كلما مضيت أكثر نحو عزلتي.

لماذا كلما واجهت الحياة أجد هذا الكم من الخوف والعنف؟[1].«

فخروجها من الظلمات إلى النور، ومن وحدتها إلى تفاعلها مع المجتمع، شيء لا تقوم به بسهولة، لأن رغبتها في ذلك تتعارض مع ما هو موجود في المجتمع من خوف وعنف.

وأما خوفها من الموت فهو قلق وجودي ناتج عن الخوف من التأخر وفقدان الفردية وكأنها تخشى أن تذوب في الكل من خلال علاقتها مع محمدو.

"ألم أكن خائفة أيضا حين عرض عليّ "محمدو" البقاء معا، حين اقترح أن نسافر سويا، ألم أكن خائفة من مواجهة المجتمع بعلاقتنا...؟[2]"

فقلقها ناتج عن خوف طُبع بداخلها، فيمنعها من مواجهة المجتمع، والقيام بخطوة البقاء مع محمدو.

وليست الحياة من خلال ما سبق، سوى صراع بين الانفصال والاتحاد أو بين الحياة والموت، أو بين القلق من النشاط الذاتي المستقل والقلق من الاعتماد على الغير، وبهذا لا يكون الخوف من الموت سوى قلق وجودي تستشعره الإرادة الفردية الخلاقة التي تسعى نحو التفرد والاتصال. ويتضح ذلك أكثر من خلال قول ندى في الرواية "المعادلة التي تحكم الحياة والموت صعبة وعسيرة التفسير، يفرح الأهل بقدوم مولود لهم، تغمرهم سعادة بالغة وهم يرونه يكبر أمام أعينهم. فيما بعد، بعد سنوات كثيرة سينتظر هذا الابن موتهم ليخففوا عنه

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص141.

[2] المصدر نفسه، ص142.

مسؤولية كبرهم في السن واحتياجهم له. معادلة غريبة جدا لكنها مستمرة استمرار الحياة، وإن كان البعض لا يواجه نفسه بها إلا أنها قابعة في عمق ذاته[1] ."

ثانيا: القلق عند أصحاب التوجه الانساني

ويرى أصحاب الاتجاه الإنساني أن حرص الإنسان على وجوده هو ما يثير قلقه الوجودي، ويشكل هويته، ويشيرون إلى أنه يرتبط بحاضر الفرد ومستقبله، وليس بأحداث ماضية في حياته، ذلك أن المستقبل قد يأتي معه من الأحداث ما يهدد وجود الفرد ويحول بينه وبين إنسانيته كاملة.

والفشل مظهر من مظاهر اللاوجود وحدوثه محتمل، وحيثما يتوقع الفرد ينشأ القلق، بحيث تصبح أي محاولة لتفسير القلق الوجودي في ضوء الماضي غير كافية ومضللة. ومن ثم فالصراع النفسي ينشأ بين اختيار الفرد للماضي، أو اختياره للمستقبل، حيث أنه إذا اختار الإنسان المستقبل بما يحمله من جديد غير معروف، صاحبه القلق الوجودي، لأنه ما من سبيل للتأكد مما سيحدث عندما يجد الإنسان نفسه في خضم بحر لم يُبحر أحد فيه من قبل. وهذا القلق لابد من احتماله لأن تجنبه وعدم القدرة على تحمله يعني ضياع فرصة الفرد للنمو، أما إذا اختار الإنسان الماضي المألوف ليتجنب القلق الوجودي سقط في براثن الذنب الوجودي لإضاعته فرص النمو وإثراء الحياة[2]."

ومنه فالقلق الوجودي خبرة آنية ولا علاقة لها بالماضي، ينشأ إما من أحداث حاضرة أو متوقعة مستقبلا، ولهذا اختار كيلي أن يربط بين القلق وبين غموض أحداث المستقبل القريب والبعيد، فنجده يقول: "نحن نصبح قلقين عندما لا يمكننا فهم الأحداث التي نلتقي بها إلا بشكل جزئي، وعندما يكون الكثير من جوانبها غامضا، فالرشد بالنسبة للمراهق، والكتب

[1] لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص141-142.

[2] – ينظر: محمد إبراهيم عسيلة، المرجع السابق، ص112.

بالنسبة للأمي، والنفوذ بالنسبة للمتواضع، والموت بالنسبة لمعظمنا كلها أشياء تستثير القلق، إنها الجوانب المجهولة من الأشياء التي تصدمنا في ظلام الليل، هي التي تعطيها القدرة على إزعاجنا[1]". وعن الغموض في الرواية تقول ندى "تتضاءل الأسرار مع الزمن وتزوي حسب أهميتها في حياتنا، وحسب الأشخاص الذين ظلوا أحياء ليكشفوا لنا حقيقتها، وغالبا ما تكون الحقيقة التي يحبون هم رؤيتها، لذا تظل الأسرار أسرارا.

في عائلة "أبي هناك سر عمتي المجنونة، وفي عائلة أمي سر زوجة خالي المنتحرة، وسر خالتي وفاء التي وحدت زوجها مقتولا أمام مدخل العمارة (...) غامضة معرفة الحكايات التي عتم عليها الوقت، وابتلعتها سلطعونات الشك والحرص على إخفاء الحقيقة[2]."

الخبرة المثيرة للقلق والتي تتضح من خلال ما سبق، تكمن في الأسرار ذات الجوانب الغامضة وما ينطوي عليها من تهديد يعود للشك والحرص على إخفاء الحقيقة.

ومنه فالإنسان يقلق إزاء ما يجهل، وبناءا على ذلك، فإن مواجهة القلق تقوم على إستراتيجية مزدوجة، وجهها الأول يتضمن ويعتمد على القدرة على تحمل الغموض، ووجهها الثاني، وهو الأكثر إيجابية، يتضمن العمل على توسعة حيز الوعي لدى الإنسان إزاء غموض المستقبل والحاضر.

ولهذا يشير بوجنتال إلى أن وعي الإنسان يعني بالضرورة وجود موضوع للوعي، حيث لا يوجد وعي في فراغ، وموضوع الوعي عند عالمنا يكمن في الوعي بزوالية الحياة، أي الوعي بسطوة القدر ويقينية الموت و الوعي بالقدرة على الاختيار والفعل وما يترتب عنهما من مسؤولية ومنها الوعي بالعزلة والتفرد[3]، وعن هذا الأخير تقول ندى:

---

[1] – شاهين إيمان فوزي سعيد، المرجع السابق، ص18.

[2] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص8.

[3] – شاهين إيمان فوزي سعيد، المرجع السابق، ص19

"ثم ماذا يبقى لنا؟

مجرد عناوين عريضة للحكاية،

"ربما أعي الآن أن كل ذاك الترقب والقلق، كل تلك الخشية، كل التردد، والاحتمالات المفتوحة على كل شيء وعلى لا شيء انتهت حتما.

انتهت لأنني لم أستطع حسم أمري في اختيار أيا منها، فكان أن اخترت الوحدة" [1]. فموضوع الوعي بالنسبة لها هو انتهاء كل الاضطرابات والاحتمالات التي صاحبتها في الحياة.

ثالثا: القلق عند أصحاب الفلسفة الوجودية

إلا أن القلق يتقاطع مع الفلسفة من خلال نظرية بارك، فتبدو الحياة بالنسبة إليه بمثابة عجلة طاحونة تدور بلا فائدة أو معنى، ما دام الموت هو النهاية الأكيدة للكائن الإنساني، وهو يرى بأن الناس يستجيبون للموت بثلاثة أشكال من ردود الفعل وهي: الخوف من الموت بوصفه خبرة حقيقية وموضوعية وخارجية كما تبدو في موت الآخرين ,الخوف الناجم عن وعي الفرد باقتراب نهايته أو موته الشخصي والخوف المقترن بالقلق الوجودي من العدم[2].

فإذا سبرنا غَوْرَ رواية "تلامس"، اكتشفنا أن البطلة ندى حين تتحدث عن الخوف من الموت بوصفه خبرة حقيقية، موضوعية وخارجية كما تبدو في موت الآخرين، تقول عن

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص114.

[2] – إيمان محمد بركة ثابت، المرجع السابق، ص28

موت أبيها وجدتها: "بعد وفاة جدتي بأقل من عامين مات أبي، مات بالطريقة نفسها التي ماتت بها جدتي... توقف قلبه عن العمل[1]. "

وتقول عن موت عمتها: عمتي ماتت إذن... علي مغادرة هذا المكان بسرعة... علي مغادرته إلى الأبد" [2]. فخوفها من الموت يعود إلى مشاهدتها وإدراكها لموت أفراد عائلتها، مما يوحي إلى أن هناك نوع من الوراثة يتحكم في ذلك.

أما بخصوص الخوف الناجم عن وعيها باقتراب نهايتها، أو موتها الشخصي فنجدها تقول: "أكثر ما كان يخيفني أن أصير مثلها.

أن تكون نهايتي مثل نهايتها[3]. "

وفيما يتعلق بالخوف المقترن بالقلق الوجودي من العدم، نلاحظ بأن خوفها يعود إلى تقاطع كوابيسها مع جنون عمتها، فتقول:

"الكابوس ذاته يتكرر بتركيبات مختلفة، عمتي تركض في الشارع بشعر منكوش، وأنا أركض خلفها، ثيابي ملوثة بأتربة ووحول بلون الصدأ، خلفي سواد وأمامي سواد، في الشارع، وفي السماء، وهي تقهقه مولولة ثم تبتعد بعيدا.ثم أرى نفسي كما لو أنني صرت هي.

أنا المنكوشة الشعر التي أولول وأصرخ.

وجوه متعددة لكابوس واحد.

تحت عيني سواء، المرأة تظهر أثار فزعي.

---

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص123.

[2] – المصدر نفسه، ص155.

[3] – المصدر نفسه، ص5.

كوابيس عمتي ليس لها موعد، وليست مرتبطة بزياراتي لها، أحيانا عندما أغيب عنها، تأتيني كوابيسها بإلحاح كما لو أنها تطالبني بالزيارة.

أسحب نفسي من تحت الغطاء بصعوبة، إرهاق يسكن عضلاتي.

أقف تحت الماء الكثيف البارد علني أنبه أعصابي، وأطرد أشباح الليل التي سكنت مساماتي.

سيري بي حذر المياه الباردة

مخيلتي تعيد تركيب الحلم مع إضافات مختلفة وهواجس مرعبة عن جينات تخزن في خلاياي المرض نفسه[1]."

يتقاطع القلق مع الفلسفة الوجودية تحديدا.

فترى وجودية كير كجارد بأن الجانب الأكثر أهمية في الشخصية هو ليس ما يرثه الفرد جينيا، أو طريقة معاملته في الطفولة، وإنما يكمن في قدرته على الاختيار.

فالإنسان يملك حرية التصرف، ويواجه عددا لا يحصى من الاختيارات وقد يمر أثناء مراحل نموه بأزمات ويواجه تحديات وصراعات، وهو في كل ذلك مضطر إلى الاختيار، بين هذا النوع من التصرف أو ذاك، بين الطاعة والثورة، بين مسايرة متطلبات العائلة أو المجموعة أو تحديها، بين الخير والشر، ولكن إمكانية الاختيار هذه تجعله يشعر بالمسؤولية، لأنه يحيا وسط مجتمع يراقبه ويحاسبه، ويرضى عنه أو يعاقبه. "

وعن مواطن الاختيار في الرواية، تقول البطلة ندى عن نفسها:

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص19.

"أختار ثيابا غامقة، بنطالا أسود وبلوزة سوداء برسومات بنية، أرتدي معطفا بنيا فوقهما، الألوان الغامقة غير لافتة للانتباه هكذا تقول أمي. أسير باتجاه الشارع لأستقل تاكسي نحو المنطقة التي يسكن بها[1]. "

فاختيارها للثياب الغامقة غير اللافتة دليل على تحديها للمجتمع.

"يومها، ما إن نزلت من السيارة في منطقة "الأشرفية " حتى أحسست بانفصال تام عن عالمي، عن بيتنا، عن جدتي، وعن كامل تحديدا[2]. "

واختيارها للانفصال، دليل على ثورتها عن ذاتها، عن وحدتها، عن مبادئها، وعن علاقتها الكلاسيكية مع كامل تحديدا.

والاختيار معناه نبذ إمكانيات أخرى موضوعة أمام الإنسان، ولهذا كان الاختيار ينطوي على المخاطرة، لأن المرء يجازف باختيار وجه أو وجهين من أوجه الممكنات العديدة، ولهذا أيضا يبقى نوع من العدم في داخل نسيج الذات تمثله هذه الإمكانيات التي لم يستطع أن يحققها، ومن هنا قال كيركجارد: "إن الاختيار يجر إلى الخطيئة، إلى المخاطرة، والمخاطرة بطبعها تؤدي إلى القلق، قلق على الإمكانيات العامة، وقلق من الوجه الذي اختاره الإنسان منها[3]. "

"إحساسي وأنا أبحث عن البناية التي يسكن فيها "محمدو"، كان خاليا من أي شعور بالذنب أو تأنيب الضمير، ليس إيمانا مني أن الندم هو الخطأ الثاني الذي نرتكبه، (...)، بل لأنني أحس شعور المؤمن الذي عاش حياته في إيمان نقي وخالص من أي شائبة كبرى تعكر

[1] – ينظر: الأزرق بن علو، المصدر السابق، ص84-85.

[2] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص73.

[3] – المصدر نفسه، ص74.

صفحته، لكنه في لحظة ما يقرر سرا اقتراف معصية وهو يدرك تماما أنها معصية" [1]. فالخطيئة تكمن في نظرتها السيئة لإيمانها النقي، والمخاطرة تعود إلى سرية اقترافها للمعصية.

أما هايدغر فنجده يربط مناقشته للقلق بتحليله لظاهرة السقوط "فما يحدث في ظاهرة السقوط في رأيه هو أن الموجود البشري يهرب من ذاته، فهو يفقد نفسه في وجود غير أصيل مع الآخر، وهو ما يسمى "بالهم "they أو في الانشغال والاهتمام بشؤون عالم الأشياء، ومع ذلك فإن فرار المرء من ذاته يوحي هو نفسه بأن الموجود البشري قد يواجه نفسه بالفعل بطريقة ما[2]، ويتضح ذلك من خلال قول البطلة ندى في الرواية:

"لا أحب كلمة وظائف شاغرة، تجعلني أحس أنني أنضم إلى قطيع من الفئران، وهم يلهفون خلف قطعة من الجبن، وفي النتيجة لا يحصل على القطعة إلا فأر واحد، لا يشترط أن يكون الفأر الأسرع، لكنه الأكثر حيلة.

كنت مقتنعة أيضا أن الفرص غير عادلة، ولا يحكمها عنصر الكفاءة فقط، هناك عوامل كثيرة أخرى، من بينها الدقة في التعريف عن النفس، واستعراض المهارات بذكاء ولباقة، الواسطة أيضا تلعب دورا مؤثرا.

لذا لم أتشجع في المحاولة لأن خروجي من ذاتي لكلام عنها، شيء لا أقوم به بسهولة، ولا أعرف بدقة كيف أعبر عنه، كما أنني لا أمتلك أية واسطة[3]. "

ومنه فالوظائف الشاغرة (أي العمل) هي ما يمثل الوجود الزائف لدى البطلة، ذلك الوجود الذي ترفضه، حيث لا تميل فيه الذات الاندماج مع الناس والانغماس في المجموع

[1] – عبد الرحمان بدوي، المصدر السابق، ص22.

[2] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص76.

[3] – ينظر: جون ماكوري، المرجع السابق، ص185-187.

والارتماء في أحضان الآخرين، مؤلمة أن تتهرب من حريتها وتتنصل من مسؤوليتها وتتخلص من شعورها بالقلق، أما الوجود الصحيح –فهو على العكس من ذلك– وجود تشعر فيه الذات بأنها قائمة بنفسها مسؤولة عن ذاتها، وأنه قد خلى بينها وبين حريتها، فتأخذ على عاتقها –وحدها– تبعة وجودها، والجدير بالملاحظة هو أن وجودها الصحيح قد ارتبط بنوع من العدم، يكمن في صعوبة الخروج عن ذاتها، وعجزها عن التعبير عنها.

ومنه فالبطلة ندى في رواية "تلامس" موجود غير كامل يسعى مع الزمن لتحقيق ذاته عن طريق وجود صحيح يصل إليه عبر القلق، وهذا القلق يتكون من إحساسه بالعدم يمثل أمامه ويهدده على الدوام وفي أي لحظة بفناء وجودها، مما يملأ كيانه بأنه لن يستطيع أن يحي إلى وقت يحقق فيه وجوده كاملا، ويصل به إلى مستوى الكمال.

وأما سارتر، فهو يورد في تحليله لظاهرة القلق تفصيلات مطولة، تتلخص في ربطه بالحرية والعدم، والدليل على ذلك ما قاله جون ماكوري في كتابه المعنون "بالوجودية": "ليست الحرية إذن، حرية بسيطة على الإطلاق وإنما هي حرية يثيرها ويقيدها العدم، وفي ممارستي لهذه الحرية أخبر القلق، وفي استطاعتي أن أتجنب القلق بالالتجاء إلى أنماط الفعل المتعارف عليها، أو المعايير المألوفة لكن الثمن الذي أدفعه لذلك هو السقوط في "الإيمان السيئ" أو سوء الطوية[1]". وعن الحرية وما صاحبها من عدم في الرواية تقول البطلة ندى عن نفسها:

"حين كنت أذهب إلى السينما، أذهب سرا عن جدتي، في الأيام التي أتأكد من غيابها لساعات، أهرب إلى السينما، الأفلام تحملني إلى عالم آخر، إنها عقار سحرني بالنسبة لي، لن تصدق جدتي أنني أذهب وحدي إلى السينما لذا كنت أكذب عليها، حتى في زمن

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص17.

علاقتي مع محمدو لم أرافقه إلى السينما إلا مرة واحدة، كنت أخاف أن يراني أحد برفقته، خوف طبع في داخلي رغم أنني بت وحيدة الآن أتحكم في يومي بل وفي حياتي كلها[1]. "

فهي حرة وحيدة تتحكم في يومها بل وفي حياتها كلها، إلا أن هناك نوع من العدم يقيدها، عدم يكمن في ممارستها السرية لهذه الحرية، ولهذا لجأت للكذب عن جدتها، لكن الثمن الذي تدفعه هو السقوط في الإيمان السيئ، وهو الخوف من المجتمع، لأن حريتها تتعارض دائما مع العادات والاتجاهات والقيم التي يجب أن تقوم عليها الشخصية السوية في هذا المجتمع، ولهذا ارتبط قلقها الوجودي بسوء النية والطوية.

ومنه يرى سارتر بأن القلق ظاهرة تعتنق الوجود ينبغي تحملها لا الفرار منها، شأنه في ذلك شأن كيركجارد وهيدغر.

ولهذا ترى المدرسة الوجودية بأن القلق الوجودي هو أن يحتفظ الإنسان بدافعه للحياة، وتحفزه دائما ليرقى ويبلغ الأهداف، ويرى الوجوديون أن رفض الإنسان للتعايش مع القلق الوجودي، يعني تخليه عن أهم ما يميزه كإنسان، فيفقد بذلك أهم مقومات وجوده، وتبدأ حياته تفتقر إلى المعنى والهدف والتوجه، وبالتالي تبدأ بذرة المرض الوجودي في الظهور[2].

ويتضح ذلك أكثر من خلال قول المعالج النفسي الوجودي سبانيلي: "بإمكان المرء حين يلقي نظرة واسعة على مشاهد الحياة، أن يستنتج بشكل صحيح أن الحياة ذاتها مغامرة حمقاء". ويشاركه في الرأي فيكتور فرانكل بقوله: "إن للناس حاجة إلى المعنى لكي يبقوا أحياء، ويمكن للمرء أن يشعر بالضياع في عالم خال من المعنى، مما يمكن أن يكون سببا للقلق"[3] . وفي ذلك تقول البطلة ندى نفسها:

---

[1] – جون ماكوري، المرجع السابق، ص188.

[2] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص46.

[3] – محمد إبراهيم عسيلة، المصدر السابق، ص112.

"ليس لدي أهداف محددة في الحياة أناضل من أجلها، وليس عندي غايات أخطط لتنفيذها، لا أحلم بمهنة معينة، ولا أسعى وراء حلم بعيد ....

هذه الحقائق واجهت بها ذاتي بلا موارية دفعة واحدة وباعترافات متتالية، لأنني اكتشفت أن كل ما أقوم به في حياتي يعوزه الشغف الحقيقي.[1] "

فغياب الشغف الحقيقي كدافع للبحث عن المعنى في حياتها عدو خطير يهدد وجودها، ليؤثر فيما بعد سلبا على صحتها النفسية والعصبية، فتقول: "ما هي الثوابت في حياتي التي تمدني بالمقاومة التي تدفعني للاستمرار، لا شيء يقيني في أيامي أكثر من أشباح الليل المرعبة التي تزورني في ساعات العتمة...وهاوية تفتح فوهتها وأنا أقف عند حافة تؤكد أن لا ثوابت عندي، فأعود إلى دوراني الفارغ حول ذاتي...حولها، أعبث في فضاء افتراضي، أبتدع عوالم موازية تكبح جماح قلقي. [2]"

فعندما لا تمتلك أي شيء جدير بالحياة، أو تستحق التضحية لأجله، وعندما تصبح حياتها خالية من أيما مضمون إيجابي، عندها يرتبط قلق الوجود بالقلق العصابي، ليشمل كل المجال الشخصي للبطلة، من خلال قولها: "لست سوى عابرة، حياتي كتلة فراغ صماء، ينقبض قلبي، وينفخ داخلي على هاوية سوداء مرعبة من الشؤم، اعتصار يلوكني قطعا ثم يلفظني إلى العتمة.(...)

بأي يقين أتشبث لأواصل الهرب وأستمر بالحياة؟. [3]"

[1] – إيمان محمد بركة ثابت، المرجع السابق، ص26

[2] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص47.

[3] – المصدر نفسه، ص58.

فهي تتوقع بأنها لا تستطيع التنبؤ بالنتائج المستقبلية للسلوك حيث ترى بأن الحياة تسير وفق منطق غير معقول، وأن المستقبل سلسلة من الألغاز، ولهذا لا تعرف ماذا تريد من الحياة، حيث تحيا نهبا لمشاعر اللامبالاة والفراغ الوجودي.

ومن الناحية الوجودية يلاحظ أن الموت فِعل فيه قضاء على كل فعل، فالكل فانون، والإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يدرك حتمية نهايته، فقط يجهل متى تنتهي حياته، لهذا فإن الحياة كلها تحمل ذلك القلق الذي يتوقع الفرد فيها الموت في أية لحظة، ولهذا نجده يخاف من الموت كتهديد للوجود[1] . ويتضح ذلك التهديد لدى البطلة ندى من خلال قولها: "ماذا لو كان الكابوس القادم يتكون من أنني سأقوم بخدش وجهي أو رقبتي، بالضغط عميقا على نقطة ندى الحياة وإدمائها.[2] "

فخوفها من الموت ليس مجرد خوف عادي، بل هو قلق يمتزج في الوقت نفسه بمشاعر الفزع والجزع، والخشية والرهبة... وبالتالي، فقلقها ناتج عن خوفها من المستقبل وجزعها عن المجهول.

ويلاحظ أن الشيخوخة مظهر من مظاهر تهديد الوجود وانحلال الحياة، وإدبار الشباب، وهجوم المرض، ودُنُو الموت! وفي ذلك يقول زكريا إبراهيم: "ونحن نخاف الشيخوخة لأننا نخشى أن تكون هذه المرحلة الأخيرة من مراحل الحياة إيذانا بالفشل، وانحدارا إلى هاوية الفناء. [3] "!

تقول ندى: "لا أحب التمنيات التقليدية بالعمر الطويل، إنها أمنيات غير لطيفة وباردة إلى حد كبير.

---

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص58.

[2] – ينظر: إيمان محمد بركة ثابت، المرجع السابق، ص26.

[3] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص100.

لا أحد يتمنى أن يعيش حتى يبلغ المائة عام، لا أحد يحب أن يُبتلى بأمراض الشيخوخة ونكباتها، ورغم ذلك عند ذكرى الميلاد يقولون: "عقبال المية"، يا لها من عبارة متعبة حقا [1]"

فهي تخاف الشيخوخة، لأن الحياة في نظرها "الشباب"، وهي تريد أن تحيا، وأن تحيا شابة.

فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه يتاثر بالغير و يؤثر فيه لتحقيق ما يطمح اليه، ولهذا نجده في صراع دائم مع مهددات الحياة الا وهي العوائق، والعقبات، والعثرات،و لهذا فإنه لا يلبث أن يدرك أن حياته لا يمكن أن تكون سلسلة من المكاسب، والإنجازات والانتصارات. وهنا يظهر الخوف من الفشل، وكأنه تعبير عن خوف الإنسان من الزمان، وقلقه على المستقبل، وجزعه عن المجهول وحرصه على التمسك بأهداب الحياة! والإنسان يخشى أن يفشل في الحب، ويخشى أن يفشل في علاقاته الاجتماعية، ويخشى أيضا أن يفشل في عمله [2]، ويتضح خوف البطلة من الفشل في العمل من خلال قولها: "اقترحت عليّ هاديا تقديم طلب للعمل في قناة فضائية تطلب مُعِدي برامج وثائقية. يُساورني الخوف من الفشل، لذا أتراجع عن كل خطوة من هذا النوع فيها مواجهات جدية مع الحياة" [3]. فهي تخاف الفشل، لأن الحياة تعني في نظرها النجاح، وهي تريد أن تحيا، وأن تحيا ناجحة.

والاغتراب مظهر آخر من مظاهر القلق في هذا الوجود، ويطلق على "انعدام العلاقات الحميمية مع الناس"[4]. ويتضح في الرواية ليعكس هوية البطلة الغريبة الوحيدة وسط الزحام، فنجدها تقول: "أخبرت أمي عن ضرورة ذهابي إلى هند لآخذ منها المفتاح لأنها ستسافر

[1] – ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، الفجالة، مصر، د ط، ب ت، ص136.

[2] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص12.

[3] – ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة الحياة، المصدر السابق، ص136.

[4] – المصدر السابق، ص16.

غدا، تركتني أذهب على مضضٍ، كان في عينيها أسف على الأوقات التي تمر وتباعد بيننا. أعرف أن الحوار الحميم مفقود بيني وبينها، هناك شيء ما مكسور يمنعني من السير إليها أو التواصل معها. شيء لا أعرف كيف أحكي عنه. غادرت لأن زوجها وولديها سيصلان غدا عصرا، وستكون مشغولة معهم لأيام عدة.[1] "

فهي تشعر بالغربة والانفصال عن أمها من جهة، وعن زوجها وولديها من جهة أخرى، ولهذا اختارت الانسحاب من الموقف، بالرغم من صلة الدم والقرابة التي تربطها بالعائلة. إلا أن انفصالها عن أمها تحديدا قد صاحبه انفصال عن ذاتها فنجدها تقول عن نفسها "لكن رغم ما تفعله أمي معي ظلت مشاعري نحوها متناقضة، ومبللة، طريقة العطاء التي اختارتها لم تكن كافية لتقليص المسافات بيننا. هناك فجوة لا تردم، كنت أخجل من نزع ثيابي أمامها، أو من الحديث في أي موضوع حساس، لو حدث ذلك ينتابني إحساس الوجود في غابة شائكة، كلما توغلت في دخولي لها، لا يمكنني الخروج لذا كنت أتراجع بعد عدة أمتار. [2]"

ويرى فاروق السيد عثمان بأن الاغتراب ما هو إلا حالات عقلية مختلفة مثل فقدان القوة وفقدان المعنى"[3] . فتحدد أبعاده لدى شخصية البطلة "ندى" من خلال شعورها بالعجز أمام صديقتها هند لتؤكد على ذلك من خلال قولها: "غالبا ما كنا نختلف أنا وهي بعد نقاش لا يؤدي إلى نتيجة سوى ابتعادنا عن بعضنا البعض، أحزنني هذا الأمر كثيرا، لكنني كنت عاجزة تماما عن الوصول معها لرؤية مشتركة، في بعض الأحيان أحس بتعاطف كبير نحوها، أجد لها الأعذار وأبرر كل ما تقوله وما تفعله، لكن فيما بعد أشعر بالخنق وأن كل

[1] – فاروق السيد عثمان، القلق وإدارة الضغوط النفسية، ص19.

[2] – المصدر السابق، ص17.

[3] – المصدر نفسه، ص66.

ما قالته غير مقنع" [1]. فهي عاجزة عن الوصول إلى نقطة أو رؤية مشتركة تتفق فيها مع صديقتها هند، كما أنها عاجزة عن تحديد النتائج من هذا النقاش العقيم.

فهي تعيش في عالم لا معقول، عالم تنهار فيه المعايير لعدم وجود قيم ثابتة للموضوع الواحد حيث توجد القيمة ونقيضها لنفس الموضوع، وتصبح الغاية عندها تبرر الوسيلة، ولهذا تقول عن لا عقلانية أسباب جنون عمتها، ومدى تأثير ذلك على حياتها: "أحاول تهدئة نفسي بالقول إن حالة عمتي مختلفة، وأنها مرضت لأسباب مجهولة، وأنه من غير المحتمل أن تتكرر ذات الأسباب في حياتي، إذ ليس من المعقول أن أعيش كل هذا الرعب مع كل كابوس أرى نفسي فيه أتحول إلى عمتي. [2]"

وأما الغاية من هذا الموضوع فهي الوصول إلى نتيجة تضمن فيها عدم مرضها مثل عمتها وتبرر ذلك في قولها بأن حالة عمتها حالة مختلفة وأنها مرضت لأسباب مجهولة."

فهي تعيش في عزلة اجتماعية تعود في أصلها إلى سوء التكيف الذي تولد لديها لعدم انتمائها إلى الجماعة المحيطة بها ومن ثم تشعر بأنها وحيدة ومنفصلة عن مجتمعها وعن عالمها تحديدا وفي ذلك تقول: "أظن أن البشر ابتدعوا الصداقة ليتخلصوا من عزلتهم المفروضة بحكم الطبيعة، العزلة التي تبدأ مع حصار العقل. فالعقل الذي يعتبر خزان الأفكار واللغة هو الوقت عينه سجن انفرادي، كهف معتم جدا، بيت سري لا يعرف ما فيه إلا من يقطنه، بل إن من يقطنه لا يعرف تماما ما فيه، لكثرة ما يحتوي من دهاليز، وغرف سرية. [3]"

[1] – فاروق السيد عثمان، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] – المصدر السابق، ص17.

[3] – المصدر نفسه، ص100.

ومنه فعزلتها عزلة شعورية تعود لانفصالها عن ذاتها ومن ثم انفصالها عن المجتمع، فتفقد بذلك المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي تؤديه، ليصاحب ذلك الانفصال شعورها بالفخر والرضا.

"لذا لم أتشجع في المحاولة، لأن خروجي من ذاتي الكلام عنها شيء لا أقوم به بسهولة، ولا أعرف بدقة كيف أعبر عنه، كما أنني لا أمتلك أية واسطة. [1]"

ويعود ذلك إلى إحساسها بالتشاؤم في هذا الوجود، فتتوقع الفشل وسوء الحظ في أي مواجهة جدية مع الحياة، فيبدو المستقبل أمامها كئيبا موحشا يحمل ما يسعه من الطلاسيم والألغاز.

"اقترحت علي هاديا تقديم طلب للعمل في قناة فضائية تطلب مُعِدي برامج وثائقية، يساورني الخوف من الفشل، لذا أتراجع عن كل خطوة من هذا النوع فيها مواجهات جدية مع الحياة[2] " ولهذا ينتابها إحساس التشيؤ في هذا الوجود، فتعامل كما لو كانت شيئا وليست ذاتا أو كيانا مستقلا، لتعيش نافذة لشخصيتها مسلوبة الإرادة والاختيار، وفي ذلك تقول: "تداهمني التباسات من أفكار متشابهة تشبه الغابة التي كنت فيها. ينتابني إحساس بأنني لا شيء، وأنه لا مكان لي في هذا العالم...لست سوى عابرة، حياتي كتلة فراغ صماء. [3]"

ولهذا تسعى جاهدة في سبيل الظفر بالأمن والشعور بالأمان من كل ما يهدد وحدتها البيولوجية، وكينونتها النفسية، مما يجعلها مضطربة النفس مُفتتة الشعور في هذا الوجود.

[1] – المصدر السابق، ص37.

[2] – المصدر نفسه، ص17.

[3] – المصدر نفسه، ص19.

"دراستي "علم النفس" لم تحررني من هذه الفوبيا المرضية، ظننت أن سأتخلص من كوابيسي ومن ذكرياتي، سيصير ترددي على "المأوى" أمرا عاديا، أقوم به كلما طلب مني القيام ببحث ما، لكن الأمور لم تسر على هذا الشكل، وظللت أصاب بالرعب كلما صعدت إلى السيارة وقلت، "المدينة الرياضية، نزلة مستشفى العجزة.[1] "

فالأمان بالنسبة لها هو التحرر من الفوبيا المرضية، وتسعى إليه من خلال دراستها لعلم النفس، إلا أنها لم تظفر بهذا الشعور، وظلت تصاب بالرعب من الذكريات، والكوابيس كتهديد لها في هذا الوجود.

وبما أن قيمة الحياة لدى الإنسان تتضاءل أمام القيم التي اختارها، ليؤمن بها ويتبناها، فإن أي تهديد موجه لهذه القيم، يعد أحد مصادر القلق الوجودي لديه، وفي ذلك تقول: "لكن لو ترك الأمر لي، لفضلت أن استحم يوميا بمياه شديدة البرودة، وأن آكل من ذاك الطعام المقلي بالزيت والمغري بالتذوق، كنت اخترت أيضا السهر طويلا خارج البيت، لأنني أحب الليل، وأحب أن أشاهد وجه المدينة كيف يكون فيه. لكن الخوف والحذر، وتذكر الحكايات التي تحكيها جدتي تجعلني أركن إلى الأمان. لأن المجازفة بالأكل في الخارج تؤدي بي إلى المرض، والمجازفة بالتأخر ليلا ستشوه السمعة، وتقود إلى نبذي اجتماعيا، وعليَّ أن أظل فتاة محترمة في شارعنا، وفي الجامعة وفي كل مكان أكون فيه.[2] "

وبما أن الوجود أسبق من الماهية في نظر الوجوديين فإن الإنسان حر الإرادة، يختار حياته بالطريقة التي يريد، بمعنى أن حياة الإنسان ما هي إلا سلسلة من اتخاذ القرارات، وتحمل المسؤوليات، وهي تأتي إلى المرء من الشعور بأنه غريب عن العالم اللامعقول، هذا الذي يحس فيه بأن مظاهره، وحواسه متعارضة مع رغبته الحادة في الإيضاح، والتي لا تزال دعوتها تجلجل في قلبه بصورة لا تغالب، ومن ثم، فهو يشعر بنفسه في هذا العالم وكأنه

[1] – المصدر نفسه، ص58.

[2] – المصدر السابق، ص5.

منفي، غريب، مسلوب الإرادة والاختيار، فتكشف الحرية عن نفسها من خلال القلق[1] ، وفي ذلك تقول: "تزعجني عبارات أمي، لا أستطيع مواجهتها، لم أقدر على القول لها إنني لا أستطيع التخلي عن عمتي، بعد وفاة جدتي، وموت أبي، أحيانا في لحظات الغضب التي تمر بي، أقول في سري إنه يستحيل على أمي إدراك عجزي عن هجر عمتي، والتخلي عنها، والاكتفاء بإرسال النقود لها، وزيارتها كل عام عندما أني في زيارة صيفية إلى بيروت، أمي فعلت ذلك معي وأنا طفلة، لذا لا يمكنها أن تتبنى نوعا مختلفا من المشاعر، ولا يمكنها أن تعي أن الدائرة ضاقت عليَّ وعلى عمتي وبقينا وحدنا" [2]. فطمس رغبتها في إيضاح عجزها عن هجر عمتها، يعود إلى سيطرة أمها على عوالمها، لتكون مسلوبة الإرادة والاختيار، وأما شعورها بالمسؤولية، فقد تجاوز فرديتها الضيقة، لتكون مسؤولة على ما يتعلق بمستقبلها ومستقبل عمتها.

كما أن حرية الإنسان وقدرته على الاختيار، تعني قدرته على الخلق والإبداع والتجديد، وكلما زادت إمكانية المرء في هذا المجال، زاد قلقه لأن النمو الابتكار والارتقاء يتطلب توسعي مجالات الاختيار، وهذا يستدعي نوعا من التحدي والمغامرة، وكل ذلك يساعد على تفسير القلق. ويتضح ذلك من خلال قول ندى في الرواية

"اتصلت على الرقم الذي وجدته على سيارة مدام "يسرى" رحبت بي المتحدثة بلطف ودماثة، أعطتني العنوان وذكرت لي مبلغا بسيطا من المال للالتحاق بدورة الكمبيوتر. احتفظت بالسر عن جدتي وعن أبي لمدة أسبوعين ظللت أتردد خلالها ثلاث مرات أسبوعيا على بيت مدام يسرى في حجج ملفتة أتغيب فيها ساعة ونصف من الزمن" [3]. تتضح حريتها في الاختيار من خلال التحاقها بدورة الكمبيوتر، إلا أن جانب المغامرة فيتضح من خلال ممارستها السرية لهذه الحرية.

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص76-77.

[2] – ينظر: محمد إبراهيم عسيلة، المصدر السابق، ص113.

[3] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص39.

"كبست زر تشغيل كمبيوتري، العالم الرائع الذي أعيش فيه، نافذتي على العالم، على واقع آخر يوازي واقعي أهمية" [1]. إلا أن قدرتها على التحكم في هذا الجهاز قد صنعت لها عالما افتراضيا يساوي عالمها الواقعي أهمية، فلا سبيل من هذه المعادلة حيث يبقى الواقع واقعا والافتراض افتراضا.

"مضت أربع ساعات وأنا منهكة في الانترنت، كنت أتصفح الكثير من المواقع، وأجري محادثتين عبر الماسنجر، إحداهما مع مانويلا صديقتي الانترنتية التي تنحدر من أم لبنانية وأب إيطالي، وتنوي القدوم لزيارة لبنان لأول مرة، ومشاهدة مسرحية فيروز التي ستعرض الشهر القادم في مهرجانات بعلبك، المحادثة الأخرى كانت مع قريب هند، د.فواز الذي يقيم في كاليفورنيا، والذي وعدني بأن يساعدني في جمع خيوط أولى عن حياة الشاعرة اللبنانية "ناهية نصار."[2]"

إلا أن الجانب الأكثر أهمية في هذا الاختيار (الانترنت) يكمن في الانفتاح على الحضارات وتبادل الثقافات من خلال تواصلها مع مانويلا، والتقاطع مع الأصدقاء في نقطة الالتقاء بين الواقع والافتراض من خلال تواصلها مع فواز قريب هند "في البداية كان الأمر مجرد رغبة كشف...استجابة لشغف جمع حيوات أشخاص لا أعرفهم، لكن فيما بعد سارت الأمور بشكل مختلف حين صار كل خيط جديد يشدني أكثر وأكثر لقصة "ناهية نصار" [3]. وهنا يكمن جانب الإبداع، من خلال تبنيها لفكرة البحث في حياة الشاعرة ناهية نصار والتزامها بها.

[1] – لنا عبد الرحمن، المصدر السابق، ص27.

[2] – المصدر نفسه، ص18–19.

[3] – المصدر نفسه، ص19.

خـــاتمـــة

في خاتمة هذه الدراسة التي قمنا بها يمكننا أن نستخلص جملة من النتائج نوردها على النحو التالي:

-القلق حال نفسية وفيزيولوجية تنشأ من تضافر عناصر إدراكية و جسدية و سلوكية لتخلق شعورا غير سار يرتبط عادة بعدم الارتياح و الخوف و التردد.

-الوجودية هي فلسفة القلق الذي انتاب الإنسان عبر الزمان.

-قلق البطلة في رواية تلامس للكاتبة لنا عبد الرحمان يعود إلى تأثير جملة من العوامل التي تشكل مسار حياتها عموما و توجه سلوكاتها و ردود أفعالها خصوصا منها ما هو وراثي يعود إلى جنون عمتها ومنها ما هو اجتماعي مرتبط بمعاناتها منذ مرحلة الطفولة ومنها ما هو ميتافيزيقي يعود إلى ما تعيشه من أحلام و كوابيس.

-شخصية البطلة في الرواية شخصية قلقة ارتبطت بنوع من الوسواس مما أثر سلبا على حياتها.

-كل النظريات المطبقة علي شخصية البطلة ندى في الرواية محققة و تؤكد على أنها موجود غير متكامل يسعى الى تحقيق ماهيته عبر القلق

-الرواية تعكس حال البطلة في صراعها ضد ما يهدد وجودها.

-مهددات البطلة ندى في الرواية تعود إلى جملة من العوامل أهمها: انعدام المعنى في الحياة، الخوف من الموت و الشيخوخة و الفشل الاغتراب، تهديد القيم، اللاأمن و الحرية.

- ندى في الرواية حرة تختار وفي اختيارها تقرر نقصانها لأنه لا يمكنها تحقيق الممكنات كلها.

وفي الأخير نقترح عنوانا آخر للدراسة و التحليل إلا وهو" الجنون في رواية تلامس للكاتبة لنا عبد الرحمان" وذلك لارتباط قلق البطلة ندى بجنون عمتها.

مـلاحـــــق

ملحـق01: السيرة الذاتية للروائية.

ملحـق02: نموذج كيفية تأثير الأفكار والمشاعر ببعضها عند صاحب الشخصية القلقة.

ملحـق03: الوجه الخلفي للرواية.

السيرة الذاتية للروائية:

1- مولدها ومسارها العلمي والعملي:

ولدت الكاتبة اللبنانية **لنا عبد الرحمن** سنة 1975م، حصلت على درجة الدكتوراه عام 2010م، من جامعة ببل هيلز في "أهمية الجسد الإنساني في السيرة الذاتية"، مع التركيز على الكاتبات اللبنانيات. تعيش **لنا عبد الرحمن** وتعمل في القاهرة منذ عام 2002م، نشرت ثلاث روايات قبل روايتها " **ثلج القاهرة** "، هي "**حدائق السراب**" في 2006م، " **تلامس**" عام 2008م، " **أغنية لمارجريت**" سنة 2011م. نشرت أيضًا ثلاث مجموعات قصصية هي: " **أوهام شرقية**" عام 2004م، " **الموتى لا يكذبون أبدًا** " سنة 2006م، **و** "**صندوق كرتوني يشبه الحياة** " عام 2017م.

عملت الراوية في صحافة الثقافة منذ عام 2000م، ونشرت في العديد من الصحف العربية أبرزها: السفير- القدس العربية- أخبار الأدب- البيان- الحياة. وكذا عملت في جريدة " **الكفاح العربي**" في بيروت من عام 2001م حتى أواخر عام 2003م، وتعمل حاليا نائب رئيس التحرير بجريدة "صوت البلد" المصرية، وعن تحرير موقع ثقافي إلكتروني بعنوان " **نقطة ضوء**"، بالإضافة إلى عضويتها في نقابة الصحفيين المصرية، وفي اتحاد الكتاب في مصر، وفي نادي القصة في مصر.

2- إنتاجها الروائي والقصصي:

أنتجت الروائية **لنا عبد الرحمن** عدة أعمال فنية تمثلت فيما يلي:

- "حدائق السراب"، الدار العربية للعلوم- بيروت، 2006م.
- "تلامس"، الدار العربية للعلوم- بيروت، 2008م.
- "أغنية لمارغريت"، الدار العربية للعلوم- بيروت، 2011م.

- "قيد الدرس"، دار الآداب– بيروت، 2015م.
- "شاطئ آخر– قراءات نقدية في الرواية العربية "، 2002م.
- "أوهام شرقية " (قصص)، وكالة الصحافة العربية– القاهرة، 2003م.
- "الموتى لا يكذبون" (قصص)، وكالة الصحافة العربية– القاهرة، 2005م.

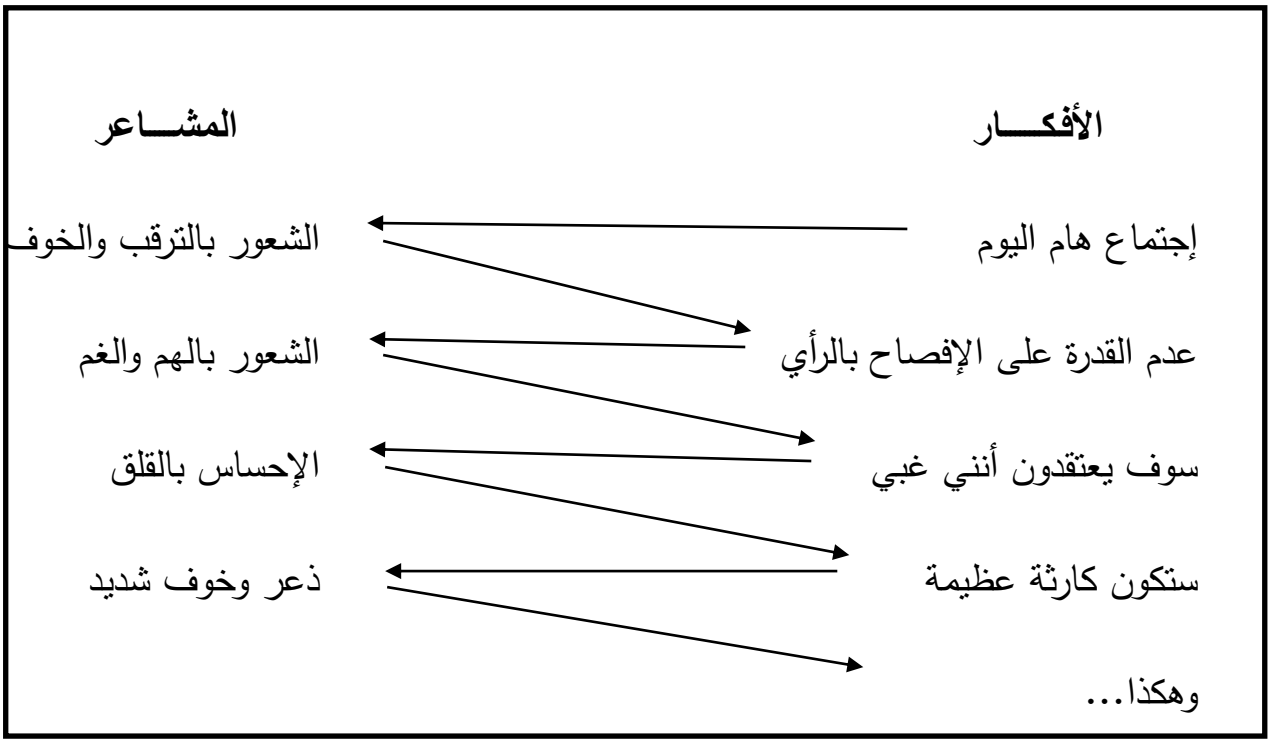

نموذج كيفية تأثير الأفكار والمشاعر ببعضها عند صاحب الشخصية القلقة.

تلامُس

رواية

لنا عبد الرحمن

• روائية من لبنان

تركض عمتي في الشارع بشعر منكوش، وأنا أركض خلفها، ثيابي ملوثة بأتربة ووحول بلون الصدأ، خلفي سواد وأمامي سواد، في الشارع، وفي السماء. وهي تقهقه مولولة ثم تبتعد.

ثم أرى نفسي كما لو أنني صرت هي.

أنا المنكوشة الشعر التي أولول وأصرخ.

وجوه متعددة لكابوس واحد.

تحت عيني سواد. المرآة تظهر آثار فزعي.

كوابيس عمتي ليس لها موعد، وليست مرتبطة بزياراتي لها، أحياناً عندما أغيب عنها، تأتيني كوابيسها بإلحاح كما لو أنها تطالبني بالزيارة.

أسحب نفسي من تحت الغطاء بصعوبة. إرهاق يسكن عضلاتي.

أقف تحت الماء الكثيف البارد، علّني أنبّه أعصابي، وأطرد أشباح الليل التي سكنت مساماتي.

يسري بي خدر المياه الباردة.

تعيد مخيلتي تركيب الحلم مع إضافات مختلفة، وهواجس مرعبة عن جينات تخزن في خلاياي المرض نفسه.

لو مرضت أنا من سيأتي لزيارتي؟

لو أصابني الجنون، لو صرت مثل عمتي من سيهتم لأمري؟ من سيعتني بي؟

• صدر للكاتبة أيضاً:

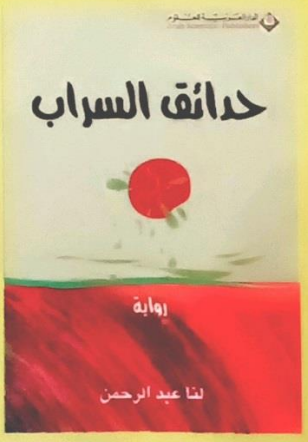

ISBN 978-9953-87-434-0
9 789953 874340
منشورات الاختلاف
revueikhtilef@hotmail.com
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com
تصميم الغلاف صاحبه ملف

ملخص الرواية:

تدور الأحداث في رواية تلامس للكاتبة لنا عبد الرحمان حول قصة فتاة لبنانية اسمها ندى، انفصلت أمها عن أبيها لتربيها جدتها في سن الخامسة لتعيش في عالم لا معقول مع جدة قوية، و أب سكير صامت، و عمة شبه مجنونة تجبرها على التعقل في لحظات صحوتها بينما أمها قد اختارت حياة أخرى في دول الخليج مع عائلة تعود في أصلها إلى زوج وولدين.

تنتمي ندى إلى عائلة محافظة و بحكم عيشها مع جدتها، تمت خطبتها بطريقة كلاسيكية جدا مع قريبها كامل ولكنها فسخت خطوبتها منه لتدخل في علاقة سرية مع رجل إفريقي أسود اسمه محمدو لتنته هذه العلاقة دون سابق إنذار منها.

تدريجيا ضاقت عليها الحياة كلها، بعد موت جدتها و أبيها وجنون عمتها، فكان همها الوحيد في هذه الحياة هو رعاية عمتها والاهتمام بها في مستشفى الأمراض العقلية و العصبية، فمع كل زيارة لها، تمدها بكل ما يلزمها من مال و حاجيات.

ولهذا بدأت الرواية بمخاوف البطلة ندى في أن تصبح إنسانة مجنونة مثل عمتها، وتنتهي بأن تتحقق هذه المخاوف في جو درامي رهيب.

قـائمـة المصـادر والمراجــع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أولا- المصادر:

1. عبد الرحمن (لنا)، تلامس (رواية)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2008.

ثانيا- المراجع:

أ- الكتب العربية:

2. إبراهيم الفيومي(محمد)، القلق الإنساني، مصادره، تياراته، علاج الدين له، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1975.

3. أحمد رشوان حسين (عبد المجيد)، دراسة في علم الاجتماع النفسي، مركز الإسكندرية، مصر، 2006.

4. أحمد غباري ثائر، (محمد أبو شعيرة خالد)، سيكولوجيا الشخصية، دار الإعصار العلمي، عمان، ط 1، 2015.

5. أسامة بن ياسين (أبو البراء)، المعاني، منهج الشرع في علاج المس والصرع، دار المعالي، عمان، ط 1، 2000.

6. الأصفر(عبد الرزاق) ، المذاهب الأدبية لدى الغرب، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999.

7. بدوي (عبد الرحمان) ، دراسات في الفلسفة الوجودية، ط 1، 1980.

8. بن علو (الأزرق) ، كيف تتغلب على القلق وتنعم بالحياة، دار قباء، القاهرة، 2003.

9. الدباغ (فخري) ، أصول الطب النفساني، دار الطليعة، بيروت، ط 3، آذار 1983.

10. السيد (عثمان) فاروق، القلق وإدارة الضغوط النفسية، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1، 2001.

11. شكيب (مصطفى) ، الأنواع العشرة لإضطرابات الشخصية، 2007.

12. الصالح (عبد الكريم)، تحليل الشخصيات وفن التعامل معها.

13. الطاهر الطيب (محمد) ، تيارات جديدة في العلاج النفسي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989.

14. عزت راجح (أحمد)، أصول علم النفس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط 7، 1968.

15. الفقي (إبراهيم) ، قوة التفكير، 2007.

16. كفافي (علاء الدين) ، الصحة النفسية، دار صخر، ط 3، 1990.

17. محمد (جمال) سلمان (أحمد)، الوجود والموجود مارتن هيدجر، دار التنوير، بيروت، 2009.

18. محمد أبي (عبد الله) البخاري بن (إسماعيل)، الأدب المفرد، باب الظن، رقم 622، القاهرة، 1375.

ب- الكتب المترجمة:

19. (آرفلين) توماس، الوجودية مقدمة قصيرة جدا، تر : مروة عبد السلام، دار هنداوي للتعليم والثقافة، ط 1، 2014.

20. أريك (فروم) ، الخوف من الحرية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

21. جوليفيه (ريجيس) ، المذاهب الوجودية من كيركجورد إلى جان بول سارتر، تر: فؤاد كمال، دار الآداب، بيروت، ط 1.

22. جون (ماكوري) ، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د، فؤاد زكرياء، الوجودية، عالم المعرفة.

23. سارتر (جان بول) ، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الخفي، الدار المصرية، القاهرة، ط 1، 1964.

24. فال (جان) ، الفلسفة الوجودية، تر: فؤاد كامل، تسيير شيخ الأرض، دار بيروت، لبنان.

25. فرويد (سيجموند) ، الكف والعرض والقلق، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط 4، 1989.

26. مايك (رولو)، البحث عن الذات، تر: عيد علي الجسماني، دار الفاسي، عمان، ط 1، 1993.

27. مكنزي (كوام) ، القلق ونوبات الذعر، تر: هلا أمان الدين، دار المؤلف، الرياض، ط1، 2013.

ج- المعاجم والموسوعات:

28. ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد الخامس عشر، باب الطاء.

29. السيد (إبراهيم)، قاموس علم الاجتماع وعلم النفس، دار البداية، عمان، 2013.

30. صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 2، 1982.

31. عبد القادر طه (فرج)، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة، بيروت، ط 1.

32. وهبة (مجدي)، المهندس و(كامل)، معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية، مكتبة لبنان، ط 2، 1984.

د- الدوريات:

33. إبراهيم (زكرياء)، مشكلة الحياة، مشكلات فلسفية 07، مكتبة مصر.

34. إبراهيم عسيلة (محمد)، باسم علي (أبو كويك)، القلق الوجودي وعلاقته بفقدان الإستمتاع بالحياة لدى طلبة كلية التربية في جامعة الأزهر، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، غزة، المجلد (7)، العدد (2)، شباط 2018.

35. جودت جاسم (عبد السلام)، مستويات القلق لدى طلاب جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 1، آ ب/ أغسطس 2009.

36. حسين (وحيدة)، حسين سلمان علي (خديجة)، القلق الوجودي وعلاقته بالاتزان الإنفعالي لدى طلبة المرحلة الإعدادية، مجلة العلوم الإنسانية، العراق، المجلد 1، العدد 19 (s) (30 إبريل/ نيسان 2013).

37. سناء (الخزرجي)، الإبداع الفني وعلاقته بالقلق الوجودي لدى طلبة، كلية العنون الجميلة، مجلة كلية التربية، العراق، المجلد 2، ع 4، 2010.

38. الصلاحي (فؤاد)، القلق الوجودي لدى الشباب في دول الربيع العربي، الحوار المتمدن، 19 جوان 2016.

39. عبد الحميد النواجحة (زهير)، رمضان عزازي (بركة)، مجلة جامعة الشارقة، دورية علمية محكمة للعلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 15، العدد 2، ربيع الثاني 1440هـ/ ديسمبر 2018.

40. الفقي (إبراهيم)، حلل شخصيتك بنفسك، منتدى مجلة الإبتسامة، دار الحياة.

41. فوزي (سعيد)، شاهين (إيمان)، القلق الوجودي نحو نموذج شامل للقلق، مجلة كلية التربية، عين شمس، ع 26، ج 4، 2016.

42. منصور (أحمد)، الرسالة لعينة المطلقات وغير المطلقات، منتدى استشارات نفسية، ج3، الإثنين 12 أفريل 2010، pn10:27، psychologu, Alafdal.net

هـ-الرسائل والأطروحات:

43. بركة ثابت (إيمان محمد)، الشعور بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة بجامعة الأقصى وعلاقته بالإبداع، رسالة ماجستير في علم النفس من كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، 2016.

44. حسين (وحيدة)، حسين سلمان علي (خديجة) رسالة تخرج، القلق الوجودي وعلاقته بالإتزان الإنفعالي لدى طلبة المرحلة الإعدادية.

45. سارة (بكار)، أنماط التفكير لدى طلبة الجامعة وقلق المستقبل المهني، مذكرة ماجستير، علم النفس إنتقاء وتوجيه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013.

46. باسل (فاطمة) أبو عمشة (صالح)، القلق الوجودي والقلق الاجتماعي وعلاقتهما بالسمات الشخصية لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة، قسم علم نفس، جامعة الأزهر، غزة، 2019.

47. فؤاد مكاوي (صلاح)، فاعلية برنامج للعلاج بالمعنى في خفض مستوى الإكتئاب لعينة من شباب الجامعة، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1997.

و- مواقع أنترنت:

48. 4 طرق لتدريب عقلك على التوقف عن القلق، شبكة الجزيرة الإعلامية، 29 أبريل 2020.

49. أروخي (الدراجي)، المذاهب الفلسفية الكبرى، من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم .

50. بادغيش (أحمد)، المسؤولية في المذهب الوجودي بشروحات سارتر، ساقية .2020 ALL RIGHTS RESERVED، 08سبتمبر 2015.

51. الحبيب (طارق)، ما هو المرض النفسي، فيديو على اليوتيوب أضيف بتاريخ: 5 أفريل 2012على موقع www.youtube.com

52. الحسامي (لبنى)، ماهية الفلسفة الوجودية، أراجيك مجتمع، 4 أبريل، 2020.

53. الشامي (غادة)، الفلسفة الوجودية، عرض المذهب ونقد الفكر، موقع الألوكة، 9 نوفمبر 2014.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهـــداء

شكر وتقدير

مقدمـة.....أ-ج

الفصـــل الأول

القلـق الوجـودي: بحث في المـاهية والعلاقات

المبحـث الأول: مـــاهيـة القـلق في علـم النفس..... 05

أولا: مفهـوم القلـق 05

ثانيا: أنـواع القلـق..... 08

ثالثا: أعـراض القلـق..... 09

المبحـث الثانـي: الـوجـوديـــة والقلـق الـوجـودي..... 11

أولا: مفهـوم الـوجـوديـة 11

ثانيا: مبـادئ الـوجوديـة (مقـولاتـهـا)..... 15

ثالثا: مفهـوم القلـق الوجـودي..... 18

رابعا: علاقـة القلـق الـوجـودي بالـوجوديـة..... 23

الفصـــل الثـــاني

القلـق الوجـودي والشخصية الروائية: بحث فـي التجليات والعلل والنتـائـج

المبحث الأول: أسباب القلق الوجودي..... 27

أولا: الأسباب الوراثية (الجينية) 27

ثانيا: الأسباب الاجتماعية..... 30

ثالثا: الأسباب الميتافيزيقية (الروحانية) 33

المبحث الثانـي: الشخصية القلقة والشخصية الشكاكة..... 38

أولا: مفهوم الشخصية القلقة وسماتها..... 38

ثانيا: مفهوم الشخصية الشكاكة وسماتها..... 40

المبحث الثالث: أبرز النظريات المفسرة للقلق الوجودي..... 44

أولا: من وجهة نظر التحليل النفسي..... 44

ثانيا: القلق عند أصحاب التوجه الإنساني..... 48
ثالثا: القلق عند أصحاب الفلسفة الوجودية..... 50
خـاتمـة..... 67
ملاحـق 69
قـائمة المصـادر والمراجـع..... 74
فهرس المحتويـات 80

ملخص الدراسة

تبحث هذه الدراسة مقاربة موضوع "**القلق الوجودي**" في رواية " **تلامس**"، للروائية **لنا عبد الرحمن**، وتسعى للإجابة عن إشكالية: كيف تجلى القلق الوجودي عند الشخصية في الرواية؟ ما مسبباته؟ ثم ما تأثيراته؟

وقد استندنا في مقاربتنا الموضوع الموسوم أعلاه، على بعض الأدوات الإجرائية للتحليل النفسي مع إنفتاحنا على مقولات الفلسفة الوجودية.

وقد خلصنا إلى أنّ هاته الرواية الأنموذج لظاهرة القلق الوجودي، جسدت لنا ارتباط هذا الأخير بعدة عوامل ومسببات، وظروف محيطة، فالإنتماء للمكان والزمان يعكس لنا شخصية الإنسان، وهذا ما يظهر جليا في سلوكات الأفراد وتفاعلهم مع الآخر.

ومن خلال ما سبق، نقترح العمل على البحث في نشأة وحياة الروائية، والظروف السياسية والإجتماعية والثقافية والمهنية، التي كان لها الأثر البالغ في تركيبتها الشخصية، وحياتها الفكرية، وذلك من أجل تقصي بعض الحقائق، واستنطاق بعض النصوص، التي لربما تعثَّرنا عن تحليلها، وتفسيرها خلال مسار هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: القلق، القلق الوجودي، الوجودية، الشخصية، الحياة النفسية، الخوف.

Abstract

This study examines the approach to the theme of **"existential anxiety"** in the novel **"TALAMES"**, by the novelist **LANA Abdul Rahman**, and seeks to answer the problem: How did the existential anxiety of the character manifest in the novel? What's his cause? Then what's its effect?

In our approach to the above-mentioned topic, we based on some procedural tools of psychoanalysis while opening up to the sayings of existential philosophy.

We have concluded that this typical account of the phenomenon of existential anxiety, embodied the link of the latter with several factors, causes and circumstances surrounding, the belonging to space and time reflects us the personality of the human, and this is evident in the behaviors of individuals, and their interaction with the other.

Through the above, we suggest researching the genesis and life of the novelist, the political, social, cultural and professional circumstances that have had a profound impact on her personal composition and intellectual life, in order to investigate certain facts and explore some texts, which we may have failed to analyze and interpret during the course of this study.

Keywords: Anxiety, existential anxiety, existentialism, personality, psychological life, fear.